وقفات

في قصة يوسف عليه السلام

وما فيها من معتبر

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

كان الله له في الدنيا والآخرة

المقدمة

الحمدُ لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ آل عمران: ١٠٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ النساء: ١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أَمَّـا بَـعْدُ:

ففي العشر الأواخر من رمضان، من عام ١٤٤٠ صلى بنا الأخ سليمان المالي بسورة يوسف أغلبها في ركعة واحدة، فتاقت نفسي إلى استنباط ما فيها من العلوم النافعة، والفوائد الماتعة فشرعت من ليلتها في مسجد الصحابة بمدينة الغيضة على مسامع طلاب العلم ومن إليهم، في تعليقة مختصرة على المعاني المنيفة من هذه السورة الشريفة، وكانت بعنوان: (وقفات وعبر في قصة يوسف عليه السلام وما فيها من معتبر) ثم زدت عليها من أقوال أهل العلم ما يناسب المقام.

فإن هذه السورة مشتملة على أحسن القصص، فهي من أولها إلى آخرها مشتملة على ما يتعلق بيوسف عليه السلام، وما مر به وما لحقه وأباه من المحنة، والله

المستعان .

قال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٥): قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَذَكَرَ اللهُ أَقَاصِيصَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقُرْآنِ، وَكَرَّرَهَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ فِي وُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ بِأَلْفَاظٍ مُتَبَايِنَةٍ عَلَى دَرَجَاتِ الْبَلَاغَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ قِصَّةَ يُوسُفَ وَلَمْ يُكَرِّرْهَا، فَلَمْ يَقْدِرْ مُخَالِفٌ عَلَى مُعَارَضَةِ مَا تَكَرَّرَ، وَلَا عَلَى معارضة غير المتكرّر. اهـ

ومعلوم أن دراسة مثل هذه الوقائع والأحداث فيها الدعوة إلى زيادة الإيمان وحسن التأسي بالأنبياء والمرسلين، والثبات على الدين والصبر على الأذى ما الله به عليم كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنعام: ٨٧ - ٩٠

كتبه: أبو محمد عبدالحميد بن يحيى الزعكري

في الثالث والعشرين من شعبان لعام اثنين وأربعين وأربع مائة وألف

الوقفة الأولى: في قول الله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف: ١ - ٢]

قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٢/ ٦٩)

فَهَذَا يَتَضَمَّنُ إنْعَامَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ أَكْمَلُ الْأَلْسِنَةِ وَأَحْسَنُهَا بَيَانًا لِلْمَعَانِي فَنُزُولُ الْكِتَابِ بِهِ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ عَلَى الْخَلْقِ مِنْ نُزُولِهِ بِغَيْرِهِ وَهُوَ إنَّمَا خُوطِبَ بِهِ أَوَّلًا الْعَرَبُ لِيَفْهَمُوهُ ثُمَّ مَنْ يَعْلَمُ لُغَتَهُمْ يَفْهَمُهُ كَمَا فَهِمُوهُ ثُمَّ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ لُغَتَهُمْ تَرْجَمَهُ لَهُ مَنْ عَرَفَ لُغَتَهُمْ وَكَانَ إقَامَةُ الْحُجَّةِ بِهِ عَلَى الْعَرَبِ أَوَّلًا وَالْإِنْعَامُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمَعَانِيهِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَهُ غَيْرُهُمْ.اهـ

الوقفة الثانية: في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف: ٣]

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠):

ثُمَّ ذَكَرُوا: لِمَ سُمِّيَتْ أَحْسَنَ الْقَصَصِ؟ فَقِيلَ: لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ قِصَّةٌ تَتَضَمَّنُ مِنْ الْعِبَرِ وَالْحِكَمِ وَالنُّكَتِ مَا تَتَضَمَّنُ هَذِهِ الْقِصَّةُ. وَقِيلَ: لِامْتِدَادِ الْأَوْقَاتِ بَيْنَ مُبْتَدَأهَا وَمُنْتَهَاهَا. وَقِيلَ لِحُسْنِ مُحَاوَرَةِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى أَذَاهُمْ وَإِغْضَائِهِ عَنْ ذِكْرِ مَا تَعَاطَوْهُ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَكَرَمِهِ فِي الْعَفْوِ. وَقِيلَ لِأَنَّ فِيهَا ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْأَنْعَامِ وَالطَّيْرِ وَسِيَرِ الْمُلُوكِ وَالْمَمَالِيكِ وَالتُّجَّارِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْجُهَّالِ وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَمَكْرِهِنَّ وَحِيَلِهِنَّ وَفِيهَا أَيْضًا ذِكْرُ التَّوْحِيدِ وَالْفِقْهِ وَالسِّيَرِ وَتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا وَالسِّيَاسَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ وَتَدْبِيرِ الْمَعَاشِ فَصَارَتْ

أَحْسَنَ الْقَصَصِ لِمَا فِيهَا مِنْ الْمَعَانِي وَالْفَوَائِدِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَقِيلَ فِيهَا ذِكْرُ الْحَبِيبِ وَالْمَحْبُوبِ. وَقِيلَ " أَحْسَنُ " بِمَعْنَى أَعْجَبَ. وَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ قِصَّةَ يُوسُفَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ مِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ " الْقَصَصَ " بِالْفَتْحِ هُوَ النَّبَأُ وَالْخَبَرُ وَيَقُولُونَ هِيَ أَحْسَنُ الْأَخْبَارِ وَالْأَنْبَاءِ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ الْمُرَادَ أَحْسَنُ الْقِصَصِ بِالْكَسْرِ وَهَؤُلَاءِ جُهَّالٌ بِالْعَرَبِيَّةِ وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ خَطَأٌ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ:

(أَحْسَنَ الْقَصَصِ) قِصَّةَ يُوسُفَ وَحْدَهَا بَلْ هِيَ مِمَّا قَصَّهُ اللهُ وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي أَحْسَنِ الْقَصَصِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ السُّورَةِ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فَبَيَّنَ أَنَّ الْعِبْرَةَ فِي قَصَصِ الْمُرْسَلِينَ وَأَمَرَ بِالنَّظَرِ فِي عَاقِبَةِ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَعَاقِبَتُهُمْ بِالنَّصْرِ. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ قِصَّةَ مُوسَى وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ فِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِ أَعْظَمُ وَأَشْرَفُ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ بِكَثِيرٍ كَثِيرٍ وَلِهَذَا هِيَ أَعْظَمُ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُذْكَرُ فِي الْقُرْآنِ ثَنَّاهَا اللهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا وَبَسَطَهَا وَطَوَّلَهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا؛ بَلْ قَصَصُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ - كَنُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْمُرْسَلِينَ - أَعْظَمُ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ وَلِهَذَا ثَنَّى اللهُ تِلْكَ الْقَصَصَ فِي الْقُرْآنِ وَلَمْ يُثَنِّ قِصَّةَ يُوسُفَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِينَ عَادُوا يُوسُفَ لَمْ يُعَادُوهُ عَلَى الدِّينِ بَلْ عَادَوْهُ عَدَاوَةً دُنْيَوِيَّةً وَحَسَدُوهُ عَلَى مَحَبَّةِ أَبِيهِ لَهُ وَظَلَمُوهُ فَصَبَرَ وَاتَّقَى اللهَ وَابْتُلِيَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ

بِمَنْ ظَلَمَهُ وَبِمَنْ دَعَاهُ إِلَى الْفَاحِشَةِ فَصَبَرَ وَاتَّقَى اللهَ فِي هَذَا وَفِي هَذَا وَابْتُلِيَ أَيْضًا بِالْمُلْكِ فَابْتُلِيَ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَصَبَرَ وَاتَّقَى اللهَ فِي هَذَا وَهَذَا فَكَانَتْ قِصَّتُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْقَصَصِ . إلى آخر كلامه رحمه الله .

الوقفة الثالثة: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ٣] هذا كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ الضحى: ٧ ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ النساء: ١١٣ فمن لم يتعلم الكتاب والسنة الصحيحة فهو في غفلة وجهالة.

الوقفة الرابعة: في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ يوسف: ٤

أن الرؤيا من وحي الله، وفيها بشارات ونذارات، إذ أن يوسف عليه السلام قد رأى رؤيا في صغره فُسِرت على تفسير عظيم إلا أن أباه عليه السلام حذره من قص الرؤيا على إخوانه؛ لما قد يسبب من الكيد والمكر لا سيما الحسد إذ أنه يقع بين الإخوة والنظراء والأصحاب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»، وفيه: جواز كتم الرؤيا ولا يُحدث بها الإنسان إلا من يُحب.

الوقفة الخامسة: في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ يوسف: ٥ فيها بيان لقول رسول الله ﷺ: " الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، وَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا

يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ " أخرجه أحمد .

قال النووي رحمه الله في شرحه مسلم (١٥/ ١٨):

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّؤْيَا الْمَكْرُوهَةِ وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا أَحَدًا فَسَبَبُهُ أَنَّهُ رُبَّمَا فَسَّرَهَا تَفْسِيرًا مَكْرُوهًا عَلَى ظَاهِرِ صُورَتِهَا وَكَانَ ذَلِكَ مُحْتَمَلًا فَوَقَعَتْ كَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّ الرؤيا على رجل طائر ومعناه أنها اذا كَانَتْ مُحْتَمِلَةً وَجْهَيْنِ فَفُسِّرَتْ بِأَحَدِهِمَا وَقَعَتْ عَلَى قُرْبِ تِلْكَ الصِّفَةِ قَالُوا وَقَدْ يَكُونُ ظَاهِرُ الرُّؤْيَا مَكْرُوهًا وَيُفَسَّرُ بِمَحْبُوبٍ وَعَكْسُهُ وَهَذَا مَعْرُوفٌ لِأَهْلِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّؤْيَا الْمَحْبُوبَةِ الْحَسَنَةِ لَا تُخْبِرْ بِهَا إِلَّا مَنْ تُحِبُّ فَسَبَبُهُ أَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ لَا يُحِبُّ رُبَّمَا حَمَلَهُ الْبُغْضِ أَوِ الْحَسَدُ عَلَى تَفْسِيرِهَا بِمَكْرُوهٍ فَقَدْ يَقَعُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ وَإِلَّا فَيَحْصُلُ لَهُ فِي الْحَالِ حُزْنٌ وَنَكَدٌ مِنْ سُوءِ تَفْسِيرِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ . اهـ

الوقفة السادسة: في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ يوسف: ٦

منة الله عز وجل على يوسف بتعليمه من تأويل الأحاديث، فتفسير الرؤيا من العلم لا سيما إذا كان المعبر لها يُفسرها على أوجه القرآن والسنة وأمثال العرب.

الوقفة السابعة: أن صلاح الذرية من الأمور المهمة والمتعينة التي يتمناها كل مسلم، فهذا يعقوب يرجو أن الله يتم نعمته على يوسف كما أتمها على أبويه أي: جديه إبراهيم وإسحاق، فإن الجد أبٌ، وفعلًا كان ليوسف هذه المنزلة فهو رسول بن

رسول بن رسول بن رسول، ولا يُعلم عن أحد نال هذه المرتبة غير يوسف عليه السلام، فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقُهُوا» متفق عليه .

الوقفة الثامنة: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ﴾ يوسف: ٧ - ٨

ما يقع في قلوب الإخوة إذا رأوا من الأب ميولًا إلى بعضهم، وربما يكون الظن منهم مع أن الأب يلازم العدل، والظن بيعقوب أنه ملازمٌ للعدل مع الأبناء؛ لأنه رسول كريم إلا أن المحبة قد تتفاوت في قلب الإنسان، لكن الأبناء أحيانًا إذا رأوا من أبيهم شيئًا حملوه على محمل غير محمود، فهؤلاء ظنوا أن أباهم يُفضل يوسف عليهم؛ بسبب محبته له، فعند ذلك بدأوا في المكر بيوسف عليه السلام.

الوقفة التاسعة: في قوله تعالى: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠ ﴾ يوسف: ٩ - ١٠ حرص الشيطان على إيقاع الإنسان في المعصية الكبيرة، فانظر كيف قذف في القلب: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾[يوسف:٩]، ولو حصل ذلك لكان مبتغاه، فهي من أكبر المعاصي بعد الشرك، فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» متفق عليه، لكن لما تراجعوا فيما بينهم قال بعضهم: ﴿ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾[يوسف:٩]، يعني: اضربوه ضربًا شديداً موجعًا حتى لا تقوم له بعدها قائمة ، ثم كان الرأي الأخير: أنهم رأوا أن يضعوه في الطريق وهذا من جهة فيه رحمة وإن كان فيه بغي وظلم إلا أنه أهون من القتل، ولله الحكمة فلو قتلوه لكان لهم ما أرادوا من عدم رؤيته ولكن الله عز وجل غالب على أمره.

الوقفة العاشرة: في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يوسف: ١١ - ١٢ الكيد والمكر في الحصول على المطلوب، فإنهم أرادوا أن يتخلصوا منه ولا قدرة لهم في التخلص منه أمام أبيهم؛ لأن الابن مع أبيه في حرز يحوطه وينصحه ويدافع عنه، لكن طلبوه أن يُرسله معهم للعلب والرعي.

وفيه أن مبتغي الشر يُظهره في صورة الخير وربما يزكي نفسه من قولهم: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[يوسف:١٢]، ومن قولهم: ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾[يوسف:١٤].

الوقفة الحادية عشرة: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ يوسف: ١٣ - ١٤ ينبغي للإنسان ألا يفتح بعض الأمور أمام الناس،

فقول يعقوب: ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾[يوسف:١٣]، استُغِلَ في إخفاء يوسف عليه السلام، ولربما لو لم يُسمعهم هذه الكلمة لذهبوا يتلمسون أعذاراً، لكن لما وجدوا هذه الكلمة، أخذوا بها، فمجرد أن أخفوه وألقوه في البئر رجعوا إلى أبيهم قالوا: أكله الذئب كما تخوفت، فبعض الكلام يحتاج أن يُتحرز منه ولا يُظهره، لا سيما بين الأطفال، والنساء، والأعاجم، ومن لم يطلع على أشياء التي لا يصلح أن يُطلع عليها، فأنت حين تضع هذه المسائل أمامهم كأنك تدلهم على البحث عنها ويقع بعد ذلك ما يحذر، وعن عَلِيٍّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللهُ وَرَسُولُهُ» أخرجه البخاري.

الوقفة الثانية عشرة : في قوله: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ ﴾ يوسف: ١٥ أن بعض الجماعات قد تجتمع على باطل، وليست جماعة المسلمين فقد قال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»، لكن قد يتمالأ أهل بلد أو قبيلة أو بيت على باطل، فانظر هؤلاء الإخوة كلهم أجمعوا على وضع يوسف في ذلك الجُب ولم يعاض أحد منهم فقال: هذا أخونا ارفقوا به وأحيطوه؛ وذلك بسبب ما كان قد غُرِسَ في القلب من الحقد، والحسد، فالحقد والحسد مرضان عظيمان إذا تسلطا على لإنسان أذهبا منه كل خُلق نبيل إلا من رحم الله.

الوقفة الثالثة عشرة: في قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ يوسف: ١٥

إحاطة الله لعبادة المؤمنين، ففي هذه الشدة، وهذه الضيقة أوحى إلى يوسف عليه السلام مع صغر سنه، والله أعلم ما نوع هذا الإيحاء: أنه سيعيش حتى يُخبرهم

بصنيعهم هذا كالمعاتب لهم والمنتصر عليهم، وهذا فيه تسلية.

الوقفة الرابعة عشرة: في قوله: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ يوسف: ١٦ - ١٧ أن من جاءك يبكي فلا تستعجل في الحكم له، كما قال بعضهم: إذا جاءك رجلٌ ورأسه يسيل دمًا فلا تحكم له لعل الثاني مقتول، ويقول العامة: ضربني وبكى، وسبقني واشتكى، فهؤلاء جاءوا أباهم عشاءً يبكون على أخيهم: أن قد أكله الذئب، وأنهم أصابهم الحزن وغير ذلك، والعجيب فيما يذكر بعضهم: أن الذئب لا يأكل الإنسان، مع أنه قد يقتله، ومما يذكره أهل التفسير: أن لباس يوسف لم يكن مقطعًا وهذا دليل على أنهم خلعوه ووضعوه في الدم، وهذه قاعدة قد يستفيدها أصحاب البحث وهي العمل بالقرائن وما يسمى باللوث .

الوقفة الخامسة عشرة: في قوله: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ يوسف: ١٨ أي أن ما من صاحب جريمة إلا ويترك آثاراً؛ تدل على جريمته، فسقطة لسان منه، أو تسقط بطاقته في المكان، أو يفعل فعله ما يتنبه لها، فقد يكون الأثر في ثوبه، أو قد يكون الأثر في حركته وزجلته، فهؤلاء تركوا ملابس يوسف عليه السلام من غير تقطيع فَعُرِفت بالقرائن: أن يوسف عليه السلام حي يُرزق، ولذلك لم يأتِ أباه اليأس.

الوقفة السادسة عشرة: أن فقد الابن أو الأخ أو الصاحب أو الزوج أو أي شيء أعظم من موته، لا سيما إذا فُقِدَ ولم تجد ما يدل عليه، تبقى قلقًا حزينًا تتخيل أنه يقع

به كل شيء، إن كانت امرأة تظن أنها تُهان وغير ذلك، وإن كان ولدًا لا تدري ما حالهُ، فيبقى الإنسان حزينًا، وربما يلحقه الهم والحزن والأمراض والأسقام على فقد ولده، بينما لو مات لكان أسهل، وهذا سيأتي.

الوقفة السابعة عشرة: أن الرجل قد يُغلب من أقاربه، فهذا يعقوب عليه السلام أحاط به أبناؤه وكانوا أحدى عشر وكلهم رجال فغلبوه ومع ذلك يقول: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف:١٨]، أي صبر لا شكوى معه.

الوقفة الثامنة عشرة: فضيلة الصبر، فبنفس هذه الآية احتجت عائشة حين اتهمت بما برأها الله منه قالت: «فَوَاللهِ لاَ أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨]» أخرجه البخاري .

الوقفة التاسعة عشرة: أن الإنسان إذا غُلِب قد لا يستطيع أن يتكلم، أو يبين أو يفصح، ويرى أن السكوت أسلم ما يمكن أن يقوم به، فيعقوب عليه السلام لم يزد على هذه الكلمة؛ لأن الجدال ما سيكون وراءه طائل، أنتم قتلتموه؟ قالوا: ما قتلناه، وربما ترتفع الأصوات ويقع ما لا يُحمد، وقد قال رسول الله ﷺ: «وأعوذ بك من غلبة الرجال».

الوقفة العشرون: في قوله: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ يوسف: ١٩ أن الله إذا أراد أن يحفظ الإنسان هيئ له سُبل الحفظ من حيث لا يدري ولا يعلم، رجل في برية قد أُلقي في بئرٍ عتيقة، وربما جاءه الظلام والوحشة ومع ذلك جاءت رفقة من الناس في إبلهم

ومراكبهم، فأرسلوا من يأتيهم من بالماء، فأنقذ الله عز وجل يوسف بهذه الرفقة التي جاءت للسُقيا، ومثله: رجل يضيع في البحر وإذا بسفينة تظهر، أو رجل يلحقه ضرر وإذا بالله يأتي بالفرج: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[الشرح:٥-٦]:

عَسَى فَرجٌ يَأتي بِهِ الله إنَّهُ لَهُ كلَّ يَومٍ فِي خَلِيقتِهِ أمرُ

الوقفة الواحدة والعشرون: في قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ يوسف: ٢٠ زهد المبطلين في أصحاب الحق؛ وذلك أن إخوة يوسف على القول بأنهم المراد بقول الله تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ} [يوسف: ٢٠]، باعوه بثمن زهيد يسير ولم يستطع عليه السلام على ما جاء ببعض الروايات أن يقول: هؤلاء إخوتي؛ لأنهم ربما يقتلونه، وقيل بأن يهوذا نصحه بعدم الإخبار خوفا عليه منهم لكن سكت حتى باعوه بدراهم معدودات وكانوا فيه من الزاهدين، ولو طلبوا ثمن أغلى مع ما هو عليه من الجمال وما هو فيه من الوسامة ورغبة الناس فيه لربما أخذوا أكثر من هذا الثمن، لكن لشدة ما في قلوبهم عليه أرادوا أن يتخلصوا منه ولو بالمجان كما يُقال.

الوقفة الثانية والعشرون: في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يوسف: ٢١ فرح عزيز مصر بالولد لما رأى فيه من الصفات الخلقية والخلقية وأن الله قد يُهيئ من يقوم بالإنسان من حيث لا يحتسب، فهيئ الله لموسى عليه السلام

بفرعون يُربيه، وكان سبب هذه التهيئة زوجة فرعون، وهنا هيئ الله عز وجل ليوسف عليه السلام بعزيز مصر حيث لم يكن له ولد، فقال لامرأته: ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾[يوسف:٢١]، أكرميه، وربيه، وأطعميه، وأسقيه، حالوا في قتله فهيئ الله له بيت ملك يعيش فيه على أحس العيش، والحال، ورُعِيَ في ذلك البيت رعاية الولد: ﴿ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾[يوسف:٢١]، قيل: أن العزيز لم يكن له ولد فأراد أن يتبناه فربوه تربية الولد حتى قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ﴾[يوسف:٥٦].

الوقفة الثالثة والعشرون: أن التمكين ليس كما يزعم الحزبيون أنه لا يكون التمكين إلا أن يبدأ من رأس السلطة فالصحيح: أن التغيير يكون بتعليم الناس الخير، والتمكين يكون بإقامة دين الله على أي حال كان، فيوسف عليه السلام يقول الله عز وجل بشأنه: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ﴾[يوسف:٥٦]، حين أُخذ وبيعَ من بيت هذا الرجل، لكن تمكينه في توحيده، تمكينه باستقامته، تمكينه في نبوته، تمكينه بامتثال شريعة الله.

الوقفة الرابعة والعشرون: في قوله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يوسف: ٢٢ أن التكليف إنما يقع على الإنسان بالبلوغ، أما قبل البلوغ فلا تكليف من قوله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[يوسف:٢٢]، فعن عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أَوْ يُفِيقَ"

أخرجه أبو داود .

وآتاه الله النبوة والرسالة؛ بسبب إحسانه: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[يوسف:٢٢]، وأعظم الإحسان الذي كان يتميز به يوسف عليه السلام: التوحيد كما سيأتي إن شاء الله، والنبوة: هي محض منة الله، ليس كما يقول الفلاسفة: بأنها تُنال بالرياضة أو أنها تُكتسب.

الوقفة الخامسة والعشرون: في قوله: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يوسف: ٢٣ شدة الابتلاء والاختبار، وقل من يصبر عليه: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾[يوسف:٢٣]، وهذا من أعظم أنواع البلاء: بلاء الشهوة: وقد قال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» متفق عليه عن أسامة رضي الله عنه، فقد يصبر الرجل على المال لا يسرق، وعن الخمر لا يشرب، ويصبر عن أشياء كثيرة لكن أن يوجد له مثل هذا الموقف هذا لا يثبت عليه إلا خُلص المؤمنين الذين يثبتهم رب العالمين، ولذلك قال سعيد بن المسيب: إن تأمنوني على ملئ هذا البيت ذهبًا وجدت نفسي عليه أمينًا، وإن تأمنوني على جارية سوداء لا أجد نفسي عليها أمينًا، وبهذا تعلم شدة فتنة المرأة على الرجل، وفتنة الرجل على المرأة.

فالمرأة بمجرد ما يعطيها الرجل كلمة جميلة وإذا بها كما يقال: فريسته:

خَـــدَعوها بِقَـــولِهِم حَســـناءُ وَالغَـــواني يَغُـــرُّهُنَّ الثَنـــاءُ

فهذه بلية عظيمة حصلت ليوسف عليه السلام، وممن؟ ممن رُبيَّ في بيتها، فلها

عليه فضل النعمة والتربية، وتعتبر كالسيدة له، وأمرها بالنسبة له ملزم كما سيأتي، ومع ذلك هيأت الأمور فهي متزينة، والأبواب مغلقة، وربما قد طردت الحشم والخدم: ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[يوسف:٢٣]، دعته إلى نفسها صراحةً بدون تلميح، وهذا من أعظم الفتنة موقف عظيم ثبت الله فيه هذا النبي الكريم، ، وإذا به يقول: ﴿ مَعَاذَ اللهِ ﴾[يوسف:٢٣]، لا يمكن أن يقع مني هذا الفعل، ما السبب؟ ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾[يوسف:٢٣]، تربى في بيت النبوة والرسالة يعلم الحلال من الحرام، وقيل أراد أن العزيز سيده أحسن إليه فلا يجازيه بهذا الفعل المستقبح وكان مراقبا لله يخشى الظلم: ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[يوسف:٢٣]، دليل على أن المعاصي ظلم، وربما كان ظلمه لنفسه بالمعصية، وظلمه للمرأة بتخبيبها وظلمه لسيده بخيانته.

قال ابن القيم في الداء والدواء (ص: ٢٠٨):

فَأَخْبَرَ عَنْ عِشْقِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ، وَمَا رَاوَدَتْهُ وَكَادَتْهُ بِهِ، وَأَخْبَرَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا يُوسُفُ بِصَبْرِهِ وَعِفَّتِهِ وَتَقْوَاهُ، مَعَ أَنَّ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ أَمْرٌ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ صَبَّرَهُ اللهُ، فَإِنَّ مُوَاقَعَةَ الْفِعْلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ الدَّاعِي وَزَوَالِ الْمَانِعِ، وَكَانَ الدَّاعِي هَاهُنَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: مَا رَكَّبَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي طَبْعِ الرَّجُلِ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى الْمَرْأَةِ، كَمَا يَمِيلُ الْعَطْشَانُ إِلَى الْمَاءِ، وَالْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا يَصْبِرُ عَنِ النِّسَاءِ، وَهَذَا لَا يُذَمُّ إِذَا صَادَفَ حَلَالًا، بَلْ يُحْمَدُ كَمَا فِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ بْنِ عَطِيَّةَ الصَّفَّارِ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، أَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا أَصْبِرُ عَنْهُنَّ» .

الثَّانِي: أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَابًّا، وَشَهْوَةُ الشَّبَابِ وَحِدَّتُهُ أَقْوَى.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ كَانَ عَزَبًا، لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا سُرِّيَّةٌ تَكْسِرُ شِدَّةَ الشَّهْوَةِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ غُرْبَةٍ، يَتَأَتَّى لِلْغَرِيبِ فِيهَا مِنْ قَضَاءِ الْوَطَرِ مَا لَا يَتَأَتَّى لَهُ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَمَعَارِفِهِ.

الْخَامِسُ: أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجِمَالٍ، بِحَيْثُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَدْعُو إِلَى مُوَاقَعَتِهَا.

السَّادِسُ: أَنَّهَا غَيْرُ مُمْتَنِعَةٍ وَلَا آبِيَةٍ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُزِيلُ رَغْبَتَهُ فِي الْمَرْأَةِ إِبَاؤُهَا وَامْتِنَاعُهَا، لِمَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذُلِّ الْخُضُوعِ وَالسُّؤَالِ لَهَا، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَزِيدُهُ الْإِبَاءُ وَالِامْتِنَاعُ إِرَادَةً وَحُبًّا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَزَادَنِي كَلَفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ ... أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا

فَطِبَاعُ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَضَاعَفُ حُبُّهُ عِنْدَ بَذْلِ الْمَرْأَةِ وَرَغْبَتِهَا، وَيَضْمَحِلُّ عِنْدَ إِبَائِهَا وَامْتِنَاعِهَا، وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْقُضَاةِ أَنَّ إِرَادَتَهُ وَشَهْوَتَهُ تَضْمَحِلُّ عِنْدَ امْتِنَاعِ امْرَأَتِهِ أَوْ سُرِّيَّتِهِ وَإِبَائِهَا، بِحَيْثُ لَا يُعَاوِدُهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَضَاعَفُ حُبُّهُ وَإِرَادَتُهُ بِالْمَنْعِ فَيَشْتَدُّ شَوْقُهُ كُلَّمَا مُنِعَ، وَيَحْصُلُ لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ بِالظَّفَرِ بِالضِّدِّ بَعْدَ امْتِنَاعِهِ وَنِفَارِهِ، وَاللَّذَّةُ بِإِدْرَاكِ الْمَسْأَلَةِ بَعْدَ اسْتِصْعَابِهَا، وَشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى إِدْرَاكِهَا.

السَّابِعُ: أَنَّهَا طَلَبَتْ وَأَرَادَتْ وَبَذَلَتِ الْجُهْدَ، فَكَفَتْهُ مُؤْنَةَ الطَّلَبِ وَذُلَّ الرَّغْبَةِ إِلَيْهَا، بَلْ كَانَتْ هِيَ الرَّاغِبَةَ الذَّلِيلَةَ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمَرْغُوبُ إِلَيْهِ.

الثَّامِنُ: أَنَّهُ فِي دَارِهَا، وَتَحْتَ سُلْطَانِهَا وَقَهْرِهَا، بِحَيْثُ يَخْشَى إِنْ لَمْ يُطَاوِعْهَا مِنْ أَذَاهَا لَهُ، فَاجْتَمَعَ دَاعِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ.

التَّاسِعُ: أَنَّهُ لَا يَخْشَى أَنْ تَنِمَّ عَلَيْهِ هِيَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جِهَتِهَا، فَإِنَّهَا هِيَ الطَّالِبَةُ الرَّاغِبَةُ، وَقَدْ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَغَيَّبَتِ الرُّقَبَاءَ.

الْعَاشِرُ: أَنَّهُ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَمْلُوكًا لَهَا فِي الدَّارِ، بِحَيْثُ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَحْضُرُ مَعَهَا وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْأُنْسُ سَابِقًا عَلَى الطَّلَبِ وَهُوَ مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي، كَمَا قِيلَ لِامْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ: مَا حَمَلَكِ عَلَى الزِّنَى؟ قَالَتْ: قُرْبُ الْوِسَادِ، وَطُولُ السَّوَادِ، تَعْنِي قُرْبَ وِسَادِ الرَّجُلِ مِنْ وِسَادَتِي، وَطُولَ السَّوَادِ بَيْنَنَا.

الْحَادِيَ عَشَرَ: أَنَّهَا اسْتَعَانَتْ عَلَيْهِ بِأَئِمَّةِ الْمَكْرِ وَالِاحْتِيَالِ، فَأَرَتْهُ إِيَّاهُنَّ، وَشَكَتْ حَالَهَا إِلَيْهِنَّ؛ لِتَسْتَعِينَ بِهِنَّ عَلَيْهِ، وَاسْتَعَانَ هُوَ بِاللهِ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [سُورَةُ يُوسُفَ: ٣٣] .

الثَّانِيَ عَشَرَ: أَنَّهَا تَوَعَّدَتْهُ بِالسِّجْنِ وَالصَّغَارِ، وَهَذَا نَوْعُ إِكْرَاهٍ، إِذْ هُوَ تَهْدِيدُ مَنْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ وُقُوعُ مَا هَدَّدَ بِهِ، فَيَجْتَمِعُ دَاعِي الشَّهْوَةِ، وَدَاعِي السَّلَامَةِ مِنْ ضِيقِ السِّجْنِ وَالصَّغَارِ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: أَنَّ الزَّوْجَ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ الْغَيْرَةُ وَالنَّخْوَةُ مَا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَهُمَا، وَيُبْعِدُ كُلًّا مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، بَلْ كَانَ غَايَةَ مَا قَابَلَهَا بِهِ أَنْ قَالَ لِيُوسُفَ: {أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} وَلِلْمَرْأَةِ: {وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} وَشِدَّةُ الْغَيْرَةِ لِلرَّجُلِ مِنْ أَقْوَى الْمَوَانِعِ، وَهُنَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ غَيْرَةٌ.

وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا فَآثَرَ مَرْضَاةَ اللهِ وَخَوْفَهُ، وَحَمَلَهُ حُبُّهُ لِلَّهِ عَلَى أَنِ اخْتَارَ

السَّجْنَ عَلَى الزِّنَى. اهـ

الوقفة السادسة والعشرون: في قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوسف: ٢٤

الهم بالباطل قد يقع من كثير من الناس حتى من الأخيار: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾[يوسف:٢٤]، همت به أن يأتيها، قال بعض أهل القراءات: الوقف على هذه الكلمة فيها فائدة: ليتحقق همها: ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾[يوسف:٢٤]، خاطرة، ولكنه لم يؤاخذ على ما في النفس، لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ وَحَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فهمهُ كان عابرًا، واختلف العلماء في هذا الهم الذي همه يوسف عليه السلام فقالوا: هم بضربها، هم بنهرها، والصحيح: أنه هم بها، وهذه خاطرة لا تؤثر في إيمان العبد، وأنه سرعان ما طردها والدليل: ﴿ لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[يوسف:٢٤]، لو كان هم بضربها ما يحتاج إلى برهان ، لكنه هم بها حقيقةً همًا زال سريعًا؛ لقوة إيمانه ولعظم مراقبته لله عز وجل، وأراه الله برهانًا، اختلفوا في هذا البرهان ما هو؟ وهو الإيمان الذي في قلبه والله أعلم.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩٧):

فَالْهَمُّ اسْمُ جِنْسٍ تَحْتَهُ " نَوْعَانِ " كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد الْهَمُّ هَمَّانِ: هَمُّ خَطَرَاتٍ وَهَمُّ إصْرَارٍ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَنَّ الْعَبْدَ إذَا هَمَّ

بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ وَإِذَا تَرَكَهَا لِلَّهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً} وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرُكَهَا لِلَّهِ لَمْ تُكْتَبْ لَهُ حَسَنَةً وَلَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَيُوسُفُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَمَّ هَمًّا تَرَكَهُ لِلَّهِ وَلِذَلِكَ صَرَفَ اللهُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ لِإِخْلَاصِهِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا قَامَ الْمُقْتَضِي لِلذَّنْبِ وَهُوَ الْهَمُّ وَعَارَضَهُ الْإِخْلَاصُ الْمُوجِبُ لِانْصِرَافِ الْقَلْبِ عَنْ الذَّنْبِ لِلَّهِ. فَيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ إلَّا حَسَنَةٌ يُثَابُ عَلَيْهَا؟ وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} وَأَمَّا مَا يُنْقَلُ: مِنْ أَنَّهُ حَلَّ سَرَاوِيلَهُ وَجَلَسَ مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنْ الْمَرْأَةِ وَأَنَّهُ رَأَى صُورَةَ يَعْقُوبَ عَاضًّا عَلَى يَدِهِ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ فَكُلُّهُ مِمَّا لَمْ يُخْبِرْ اللهُ بِهِ وَلَا رَسُولُهُ وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ الْيَهُودِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ كَذِبًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْحًا فِيهِمْ وَكُلُّ مَنْ نَقَلَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَعَنْهُمْ نَقَلَهُ؛ لَمْ يَنْقُلْ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرْفًا وَاحِدًا.اهـ

المهم: أن الله قذف في قلبه بغض هذا الشر وسلمه الله، وهذا من عناية الله بأوليائه: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾[يوسف:٢٤]؛ لأن الإنسان مهما بلغ علمه، وعلا شأنه، وعظمت مرتبته إذا ابتلي بهذا الشر سقط، في شر الشهوات والشبهات، فالمسلم يكون حذرًا مراقبًا لله عز وجل مجاهدًا نفسه في البعد عن الحرام، فأحاط الله أوليائه وحفظهم كما قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[الحج:٣٨]، بأصناف المدافعة.

وفي مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا

دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، فَأَنَا هَذَا، فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: ١١٤] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟ قَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً» .

الشاهد: أن هذا الرجل وجد امرأةً على حالةٍ يعني: لا تسلم فيها النساء مع الرجال، وتمكن منها وحين الفعلة ماتت آلته فحفظه الله، وكما حفظ يوسف عليه السلام .

الوقفة السابعة والعشرون: في قوله: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ يوسف: ٢٥ فيه وجوب الفرار من المعصية، عرفت أنك في شر انعزل لا تبقى مستسلمًا؛ لأن الشيطان قد يهجم، والنفس قد تضعف، والعدو قد يخصم، لكن مباشرة يوسف عليه السلام هرب إلى الباب ليخرج، والمرأة أسرعت إلى الباب لتوكد إغلاقه، كما قال تعالى: {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} لحرصها عليه فبينما هو على ذلك قبضته قبضة شديدة انقطع منه الرداء {وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ} [يوسف: ٢٥] ، وفوجئت بأن زوجها على الباب، فلا بد أن تبرر نفسها.

الوقفة الثامنة والعشرون: في قوله: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ

﴿مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ يوسف: ٢٦ – ٢٧ التهمة للبريء، وهذا يقع كثيرًا لا سيما من النساء، فإن المرأة حين ضاق بها الحال وخشيت انكشاف الأمر بادرت إلى اتهام يوسف بالفعلة؛ لأن الزوج حين وصل على الباب رأى منظرًا يُشعر بهذا الأمر، وربما قال بلسان الحال أو المقال: ما معكِ مع هذا الشاب في هذا المكان المعزول؟ فقالت له: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ ﴾[يوسف:٢٥]، حكمت عليه بالسجن: ﴿ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[يوسف:٢٥]، ويُسلم الله مع قوة الدعوى، لكن انظر كيف نجاه الله وسلمه.

الوقفة التاسعة والعشرون: تبرئه الإنسان لنفسه، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قفل بصفية قال: « إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» متفق عليه عن صفيةرضي الله عنها، فالإنسان يُبرئ نفسه مما يلوث، وهنا قال يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾[يوسف:٢٦]، وأنا لا رغبة لي ولا طمع ولا حرص فيها.

الوقفة الثلاثون: في قوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ يوسف: ٢٨ التحاكم والدعاوى إن لم تكن عليها بيناتٌ أصحابها أدعياء، والحكم الشرعي أن البينة على المدعي، واليمين على من أنكر هذا في شرعنا، فهم تحاكموا إلى حاكم من أهلها: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ﴾[يوسف:٢٦]، أي: حكم حاكمٌ وقضى: ﴿ مِنْ أَهْلِهَا ﴾[يوسف:٢٦]، فقضى على القرينة حيث قال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾[يوسف:٢٦]، انظروا إلى القميص المقدود فهو قرينة: فإن كان مُقبلًا عليها وهي تدافع عن نفسها سيكون القطع من الأمام؛ لأنه حين يُقبل

عليها ستمسكه من الأمام، وإن كان هاربًا منها سيكون القطع في الثوب من الخلف، ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ﴾[يوسف:٢٨]، فعرف عند ذلك أن يوسف بريء من تهمة المرأة كبراءة الذئب من دمه: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[يوسف:٢٨]، وهذا واقع فإن مكر النساء شديد إلا أن يسلم الله.

الوقفة الواحدة والثلاثون: في قوله: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف: ٢٩ ضعف الأولياء سبب لفساد النساء، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾[يوسف:٢٩]، هو معرض عليه السلام، والعزيز يلتفت إلى المرأة بقوله: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾[يوسف:٢٩]، يعني: بعد هذا الظلم وهذه القرائن لا يزيد على نهرها بهذه الكلمة، كان حقه أن يزجرها، وأن يؤدبها، وأن يرد الاعتبار ليوسف عليه السلام.

الوقفة الثانية والثلاثون: في قوله: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ يوسف: ٣٠ فيه أن الأمر المكتوم قد ينتشر وفي المثل: كل سرٍ جاوز الأثنين شاع، فهذا الأمر حدث في قصر ليس إلا المرأة ويوسف لكن خرج الأمر إلى زوجها، ثم وصل الأمر إلى الحاكم الذي حكم بينهم، ثم ذهب الحديث واستشرى بين النساء، فأصبحن يتحدثن كما هي عادتهن حتى عاد الأمر إلى المرأة: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾[يوسف:٣٠]، فأي أمر يظنه الإنسان لم ينتشر إذا قد خرج منه إلى غيره ربما انتشر حتى قال بعضهم: إذا أفشيت سرك فلا تلم من أفشاه وإنما لم نفسك.

الوقفة الثالثة والثلاثون: أن الجُرأة قد تقع، يعرف هذا من حالة النساء في تناقل الأخبار، فأصبحت النساء يتحدثن عن شدة حب هذه المرأة ليوسف عليه السلام، وربما اختلقن القصص الكثيرة.

الوقفة الرابعة والثلاثون: في قوله: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ يوسف: ٣١ أنها لما سمعت بمكرهن أرادت أن تدافع عن نفسها بإقاعهن فيما وقعت فيه، وإنها لو اعتذرت منهن وقالت: هذا الأمر على غير الوجه الذي بلغكن أو اتقين الله تتكلمن في هذا الموضوع الإنسان يزل ويُخطئ، وقد أمرني زوجي أن أستغفر وكذا كان أهون، لكن ما زالت في غيها: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾[يوسف:٣١]، أرسلت إليهن وجعلت لهن مكانًا يجلسن فيه ويتكئن فيه وأعطتهن سكاكين حادة: ﴿ وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾[يوسف:٣١]، وكان قد أُوتي شطر الحُسن: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[يوسف:٣١]، قال بعضهم: ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾[يوسف:٣١]، أي: حِضن، والذي يظهر أنه ليس هذا، إنما عظمنَّ شأنه في نفوسهن؛ لأن الجمال سبب المحبة والشغف لا سيما بين الرجال والنساء، فهؤلاء نساء رأين جمالًا لا نظير له، وحسن لا مثيل له، فعند ذلك لشدة ما لحقهن من الأمر قطعن أيديهن بدون شعور؛ لأن المرأة تنظر فيه وتقطع، وليس معنى: ﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[يوسف:٣١]، أنها أبانت اليد من الرسغ، وإنما سالت الدماء، فعند ذلك قلن: ﴿ حَاشَ لِلَّهِ ﴾[يوسف:٣١]، يعني: لا يكون هذا

بشراً: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ ﴾[يوسف:٣١].

الوقفة الخامسة والثلاثون: في قوله: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ يوسف: ٣٢ أن بعض المبطلين قد يعترف بتهمته إذا رأى أن دواعيها موجودة: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾[يوسف:٣٢]، أي: اعترفت: لقد جالستُ ورأيتُ شخصًا لا صبر لي على البعد عنه: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾[يوسف:٣٢]، اعترفت اعترافًا صريحًا بينًا ظاهرًا كما دعته إلى نفسها صراحةً، وهي معذورة عند النساء، فالنساء اللاتي حضرن المجلس لم يقلن لها: لا يجوز لكِ هذا، ولا تسطيعين هذا، لكن أقررتهن بأنها معذورة: ﴿ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾[يوسف:٣٢]، فاعترفت بسلامة يوسف عليه السلام من الذنب، ولكن هذا الاعتراف فيما بينهن، لم يكن هذا الاعتراف أمام الناس حتى يُبرأ.

الوقفة السادسة والثلاثون: أن صاحب الباطل قد يتمادى في باطله مع علمه أنه على باطل، فانظر إلى قولها: ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾[يوسف:٣٢]، يعني: تتمالأ وتُقسم أنه إن لم يُطعها ويواتيها فيما تريد ليكونن مصيره السجن.

الوقفة السابعة والثلاثون: في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ يوسف: ٣٣، إذا خُيرت بين أمرين في أحدهما السلامة لدينك فاختر السلامة لدينك، فيوسف خُير بين أمرين: سلامة

الجسم والبدن والعيش على أكمل الحالات، لكن مع التربص لإيقاعه في الفتنة، أو السجن حتى قال بعض أهل العلم: متى يصير الإنسان مُكرهًا في هذا الأمر؟ قالوا: يوسف عليه السلام تحمل السجن سبع سنين ولم يرضَ بالإكراه، فليس كل من قيل له: افعل، يقول: أنا مُكره، ألبس البنطلون، قال: مُكره، أحلق اللحية، قال: مُكره، ادخل الجهة الاختلاطية، قال: مُكره، هذا يوسف عليه السلام سبع سنين كما يذكر المفسرون في سجن، يحافظ على صيانة نفسه، وفيه: عِظم الطاعة في قلوب أولياء الله: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾[يوسف:٣٣]، سجن، عذاب، شدة، ضيق، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: (أنا جنتي وبستاني في صدري، أنا سجني خلوة، وقتلي شهادة، وسفري سياحة).

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣٠):

وَفِي قَوْلِ يُوسُفَ: ... عِبْرَتَانِ: " إحْدَاهُمَا " اخْتِيَارُ السَّجْنِ وَالْبَلَاءِ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي. و " الثَّانِيَةُ " طَلَبُ سُؤَالِ اللهِ وَدُعَائِهِ أَنْ يُثَبِّتَ الْقَلْبَ عَلَى دِينِهِ وَيَصْرِفَهُ إلَى طَاعَتِهِ وَإِلَّا فَإِذَا لَمْ يُثَبِّتْ الْقَلْبَ صَبَا إلَى الْآمِرِينَ بِالذُّنُوبِ وَصَارَ مِنْ الْجَاهِلِينَ. فَفِي هَذَا تَوَكُّلٌ عَلَى اللهِ وَاسْتِعَانَةٌ بِهِ أَنْ يُثَبِّتَ الْقَلْبَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَفِيهِ صَبْرٌ عَلَى الْمِحْنَةِ وَالْبَلَاءِ وَالْأَذَى الْحَاصِلِ إذَا ثَبَتَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ. اهـ

وأنه مهما بلغت ديانتك وصيانتك ارجع إلى الله؛ لأن المخلوق البشري ضعيف، البشرية إذا تسلطت على الإنسان يضعف؛ ولذلك الشيطان لما رأى آدم عليه السلام له فم وأُذن وأنف عَلِمَ أنه خلق لا يتمالك، فيوسف عليه السلام يقول: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[يوسف:٣٣]، أي: من المُخطئين

والواقعين في الشر، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» أخرجه أحمد عن شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ .

فالجأ إلى ربك أيها المسلم في حفظ فرجك، وسمعك، وبصرك، وجميع شأنك.

الوقفة الثامنة والثلاثون: في قوله: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ يوسف: ٣٤ فيه عظم استجابة الله لعباده، وقد قال الله ﷻ: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[يوسف:٣٤]، أخبر الله أنه سميع لدعاء من دعاه، عليم بحال أوليائه: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾[الحج:٣٨].

إِذَا لـم يَكُـنْ عَـونٌ مِـنَ اللهِ لِلفَتـى ... فَـأَوَّلُ مَـا يَجنِـي عَلَيـهِ اجتِهَـادُهُ

الوقفة التاسعة والثلاثون: في قوله: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ يوسف: ٣٥ إصرار أهل الباطل على باطلهم، مأخوذ من قول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾[يوسف:٣٥]، مع ظهور الدلائل الواضحة لبراءته إلا أنهم أبوا إلا السجن، وقد جعل الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب: أن اللجوء إلى القوة والسلطان إذا وجدت الحجة والبرهان من مسائل الجاهلية.

الوقفة الأربعون: في قوله: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ

خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يوسف: ٣٦ – ٣٧ فيها بيان لعلم تفسير الرؤيا، فمنها ما يكون على ظاهرها، ومنها ما يكون مع تأويل فيها، وأن الرؤيا تُعرض على أهل العلم: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[يوسف:٣٦]، فأخذ من هذا الوجه: أنه يخدم الملك وربما ناوله هذا الشراب، ﴿ وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾[يوسف:٣٦]، فأوله أنه يُصلب ويموت، وقد رأى عمر بن الخطاب كأن ديكًا نقره ثلاث نقرات فكان أجله.

الوقفة الواحد والأربعون: فيها رد العلم إلى الله عز وجل من قوله: ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾[يوسف:٣٧]، فينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمةٍ أن يُضيفها إلى الله، فإن الله يرضى لعباده ذلك، وفي حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» متفق عليه.

وقد عتب الله ﷻ على موسى عليه السلام حين لم يرد العلم إليه ففي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ تَمَارَى، هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ الْفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْخَضِرُ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَإِنِّي قَدْ تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ

شَأْنَهُ؟ فَقَالَ أُبَيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى لَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى بَلَى عَبْدُنَا الْخَضِرُ» متفق عليه .

الوقفة الثانية والأربعون: بيان أن أعظم منة يمتن الله بها على العبد: ترك دين المشركين: من قوله: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾[يوسف:٣٧]، وليس معنى ذلك: أن أسرة يوسف كانوا على الكفر حاشاهم، فقد كان أبوه نبي، وجده نبي، وجده الأعلى نبي، وإخوانه على الإسلام؛ ولكنه يُخبر عن الحال الذي هو فيه؛ حال عزيز مصر ومن إليه كانوا يكفرون بالله ولم يتبع ملتهم.

ولذلك أضاف الله نعمة الإسلام إليه بقوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]

الوقفة الثالثة والأربعون: في قوله:﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ يوسف: ٣٨ بيان مسألة فرضية وهي أن الجد أبٌ مأخوذ من قول الله عز وجل: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾[يوسف:٣٨]، فسماهم آباء، وبهذه الآية وما في بابها ورث ابن عباس الجد وقال: من شاء باهلته أن الجد أبٌ، وهي كقوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾[البقرة:١٣٣]، وحتى العم لا بأس أن يقال له أب من باب الاحترام، وهو من العصبات.

الوقفة الرابعة والأربعون: في قوله:﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ

﴿ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يوسف: ٣٨ أن الشرك لا يجوز في كل شريعة فهو ذنب عظيم عند الله: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:١٣]، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾[المائدة:٧٢]، وهنا يقول: ﴿ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[يوسف:٣٨]، يدخل فيه الشرك الأكبر والأصغر، من حيث عدم المغفرة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا ﴾[النساء:١١٦]، إلا أن الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار .

الوقفة الخامسة والأربعون: أن الهداية إلى الإسلام هي فضل الله العظيم على عباده: ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾[يوسف:٣٨]، فإذا هداك الله للإسلام والسنة فاعلم أنه تفضل عليك وأنعم عليك نعمة عظيمة، كما قال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٢١]، فاشكر نعمه يزيدك من فضله: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم:٧].

الوقفة السادسة والأربعون: في قوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ يوسف: ٣٩ فيه جواز محاورة أهل الباطل بالحجة والبرهان، وفيه: الدعوة إلى الله عز وجل، وفيه: إبراز الحجة من قوله: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ ﴾[يوسف:٣٩]، أيهما خير أن يكون لك إلهٌ واحد هو المتصرف مُلكًا وأمرًا ونهيًا، أم تكون هناك عدة آلهة تختلف أوامرهم ومقاصدهم؟ لأن تدد الإلهة

يفضي إلى الفساد العريض، كما قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: ٢٢]، فكان الجواب: أن الإله الحق: هو: ﴿ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[يوسف:٣٩]، الواحد القاهر لمخلوقاته، والقهار: صيغة مبالغة.

الوقفة السابعة والأربعون: في قوله:﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ يوسف: ٤٠ أن الكفار قد اتخذوا آلهةً صنعوها بأنفسهم وسموها آلهة وهذه التسميات لا تفيدها شيء، فهي في شرع الله أصنام وأوثان لا يجوز أن يُصرف لها شيء من الطاعة والعبادة، ومن صرف لها شيئًا من ذلك كان من المحرومين من مغفرة رب العالمين.

الوقفة الثامنة والأربعون في قوله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ يوسف: ٤٠ أن الحكم لله، الحكم الكوني: الذي لا بد أن يقع، والحكم الشرعي: الذي يجب أن يُطاع الله عز وجل فيه، وهذا هو الدين القويم من قوله: ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٤٠].

الوقفة التاسعة والأربعون: في قوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ يوسف: ٤١- ٤٠ بيان أن التوحيد هو أمر الله الشرعي لعباده، وأنه الدين

القويم والصراط المستقيم فمن ضيعة ضاعت دنياه وأخراه، إذ أن الله لا يقبل من مشرك عملا، كما قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣]، وقال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

وفيه بيان أن أكثر الناس لا يشكرون، ولا يعلمون، ولا يؤمنون، فلا عبرة بالكثرة ولا التفات إليها، وإنما الجماعة في الحق، والله المستعان.

الوقفة الخمسون في قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)﴾ يوسف: ٤٢ فيه أن الرؤيا الحق تقع على ما أولت عليه إن كان المعبر لها على علم ودراية وفيه جواز الاستعانة بالحي الحاضر القادر، وأن هذا لا يُناقض التوحيد؛ لقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾[يوسف:٤٢]، أي: استيقن أنه لن يقتل منهما: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾[يوسف:٤٢]، أي: عند ملكك الآمر الناهي لك، فإن الرب يجوز أن يُطلق على غير الله عز وجل لكن بغير أن يُحلى بالألف واللام، وإنما هي ربوبية مقيدة، كقول بعضهم:

رَبابَـــــةُ رَبَّـــــةُ البَيـــــتِ تَصُـــــبُّ الخَـــــلَّ في الزَيـــــتِ
لَهـــــا عَشـــــرُ دَجاجـــــاتٍ وَديـــــكٌ حَسَـــــنُ الصَـــــوتِ

وكما قيل: من رَبّ الدار؟ وأنا رَبّ إبلي وهكذا.

الوقفة الواحدة والخمسون: في قوله: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)﴾ يوسف: ٤٢ إضافة الهم السيء والفعل السيء إلى الشيطان

مع أننا نعتقد أن الله خالق كل شيء إلا أن الإنسان إذا وقع في المعصية كالزنا، وشرب الخمر، وترك الصلاة ونحو ذلك ما يقول: الله أراد مني ذلك، أو الله عز وجل قدر لي بذلك هذا لا يصح، وإنما يضيف هذا الأمر إلى الشيطان: الشيطان أغواني، الشيطان كان سبب في هذا الأمر، فإن تاب وأناب وتاب ورد الأمر عند ذلك إلى الله ﷻ فلا حرج، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ وَاصْطَفَاهُ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ " .

الوقفة الثانية والخمسون: في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يوسف: ٤٣ – ٤٤ رؤيا الملك التي كانت سببا في الفرج عن يوسف وأن الرؤيا عبارة عن رموز يعبرها المعبر لها، وفيه طول مُكث يوسف في السجن، فقد بقي في السجن بضع سنين، والبضع ما بين الثلاث إلى التسعة، والمشهور: أنه لبث سبع سنين ظُلمًا وعدوانًا، وفيه: شدة البلاء على الأنبياء والمرسلين، والسجن شديد والله لو وضعت في مدينة وقالوا لك: ممنوع تخرج من هذه المدينة وأنت تذهب للسوق وترجع إلى البيت وتدخل وتخرج لشعرت بضيقة، فكيف إذا وضعوك في غرفة قد أحاطت بها جدرانها واحتوتها أركانها.

الوقفة الثالثة والخمسون: أن الله إذا أراد شيئًا أمضاه من حيث لا يظن الإنسان، فانظروا إلى يوسف عليه السلام الذي أُلقي في غيابة الجب ونسيه الإخوان والخلان، بل ونسيه من ظلمه، يتنعمون وهو في سجنه، حين أراد الله عز وجل سلامته أرى الملك هذه الرؤيا التي احتاج الناس إلى تفسيرها.

الوقفة الرابعة والخمسون: في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ يوسف: ٤٥ الأمة تأتي على عدة معاني في القرآن، ففي هذا الموطن على معنى الزمن وبمعنى الملة في قوله: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ } [الزخرف: ٢٢]، وبمعنى الإمام في قوله: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } [النحل: ١٢٠]، وبمعنى الطائفة في قوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦] وأن العالم والداعي إلى الله عز وجل سيحتاج إليه ولو بعد حين، يحتاجه الموافقون والمخالفون، فانظروا إلى يوسف عليه السلام من الذي احتاج إليه؟ احتاج إليه من سجنه وظلمه، فأرسل إليه لتفسير رؤياه ويدخل فيها:

الوقفة الخامسة والخمسون: في قوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يوسف: ٤٦ أن الناس إذا رضوا عن الشخص نادوه بأحب وأفضل أسمائه وصفاته، وفيه بيان أن العلم لا يُكتم حتى وإن سألك عدوك أو خصمك، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فهذا يوسف عليه السلام حين سألوه هذه المسألة وفيها سبب لنجاتهم

مع شدة مظلمتهم له فسرها لهم، ولم يقل: اخرجوني من السجن حتى أُفسرها لكم بل فسرها لهم على الوجه الأكمل.

الوقفة السادسة والخمسون: في قوله: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يوسف: ٤٧ – ٤٩ أن الرؤيا إذا صدقت وصدق التعبير تقع؛ لأنها من وحي الله عز وجل، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا» متفق عليه عن أبي قتادة .

وفيه: أن الرؤيا عبارة عن رموز، فالبقرة رمز للسنة فإن كانت سمينة عظيمة الخواصر تُفسر بالسنة التي فيها السعة والخير، وإن كانت عاجفة تُفسر بالسنة المجدبة، وهكذا إذا رأى إنسان ثوراً يُذبح لعله رجل عظيم يُقتل، وإذا رأى غنمًا في بيته فُسِرت بالبركة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الْإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا، وَالْغَنَمُ بَرَكَةٌ»، فالإبل قد تكون عز وقد تكون علامة على الحقد؛ لأنهم يقولون: أحقد من جمل.

وفيها أيضًا: أن الرؤيا قد تتأخر الوقوع لاسيما رؤيا الخير كما يقول أهل التعبير كما في قصة يوسف، وفي هذه الرؤيا سبع سنين وهم يزرعون ويأكلون ويشربون، ثم سبع شداد، ثم سنة يقع فيها الخير ويتوسع الناس.

الوقفة السابعة والخمسون: في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ يوسف: ٥٠

المكافئة لمن أحسن إليك، فإن الملك حين فسر يوسف هذه الرؤيا أراد أن يُكافئه، وهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الوقفة الثامنة والخمسون: صبر الأنبياء وعدم التعجل، زد على ذلك: السعي في براءة النفس، فإن يوسف عليه السلام بعد هذه المدة جميعًا حين جاءه الرسول: بالخروج، قال: ﴿ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[يوسف:٥٠]، ما يُريد أن يخرج إلا وقد بُرئت ساحته، وهذا من تمام علمه وفقهه مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ».

الوقفة التاسعة والخمسون: في قوله: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يوسف: ٥١ - ٥٢ أن الدعوى لا تُقام إلا بعد السماع من الخصم، فيوسف عليه السلام ادعى على النساء هذه الدعوى التي وقعت منهن ما السبب الذي جعلهن يحضرن إلى ذلك المجلس، فأراد يوسف أن يُبرئ نفسه، ومع ذلك الملك أرسل إليهن: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾[يوسف:٥١]، وإنما كان الحال أن امرأة العزيز أدخلتهن لإظهار عذرها أمامهن

حتى لا يُعيرنها بأنها أرادت عبدًا أو خادمًا أن يكون معها مع أنها زوجة العزيز وزوجة أعظم رجالات مصر في حينه.

الوقفة السّتون: الاعتراف بالحق فضيلة، من قول امرأة العزيز: ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾[يوسف:٥١]، لأنهم قد رأوا من الدلائل على صدق يوسف ما يمتنع معه الاستمرار في الكذب، في مبدأ الأمر لم يجمع بين يوسف وخصومه، وإنما سمعوا من خصومه وقبلوا دعواهم، واستمروا في سجنه والتنكيل به إلى غير ذلك، أما الآن، وقد أظهر الله فضله، فالحال أنه وقت المحاققة، فمع ظهور هذه الدلائل يُستحال أن تقول امرأة العزيز: بلى هو راودني، كيف راودك وهو قد أتى بدلائل كثيرة، وحكم الحاكم بأن قميصه قُد من دبرٍ، وجاءت النسوة وشهدن أنهن ما رأين عليه شيئًا، ولو كان يريد سوءً حين دخلن هؤلاء النسوة لكان له ذلك، ولكنه بعيد كل البعد عن مداخل الشيطان ومصائبه: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[يوسف:٥١]، وعند ذلك لم تُعير؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وينبغي لجميع عباد الله أن يكونوا رجاعين عن ذنوبهم وأخطائهم ممتثلين لأمر ربهم، وانظر اعترفت بذنبها وأثنت عليه: ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[يوسف:٥١]، والسبب في اعترافها: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾[يوسف:٥٢]، أي: ليعلم زوجها أنها لم تقع في الفاحشة، وإنما كان الأمر مراودة، وهذا هو الصحيح في معنى الآية أنه من قول امرأة العزيز، وقيل المعنى: بأن يوسف عليه السلام هو الذي قال ذلك: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾[يوسف:٥٢]، الملك: ﴿ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾[يوسف:٥٢]، وإني مُبرأ، وهذا لإزالة ما في النفوس، فقد يكون بينك وبين أخيك

شيء ويتم المسامحة ظاهرًا وتبقى شيء في النفوس تظهر في أوقاتها، فإياك إياك إياك أن تُبقي في نفسك شيئًا على أخيك، بل حاول كل المحاولة في تبرئة نفسك وفي إظهار محاسنها وفي السلامة مما في النفوس، ﴿ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾[يوسف:٥٢]، هذا خبر من الله عز وجل أن الخائن لا يوفق ولا يعان .

الوقفة الواحدة والستون: في قوله: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ ﴾ يوسف: ٥٣ - ٥٤، هل هذا قول يوسف أم قول المرأة؟ اختلف فيه أيضًا، والذي يظهر: أنه قول المرأة، وهو الذي رجحه شيخ الإسلام وغيره: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾[يوسف:٥٣]، مما وقع فيها من الهم والوسوسة: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[يوسف:٥٣].

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٤):

وَيُقَالُ النُّفُوسُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: وَهِيَ " النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ " الَّتِي يَغْلِبُ عَلَيْهَا اتِّبَاعُ هَوَاهَا بِفِعْلِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي. وَ " النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ " وَهِيَ الَّتِي تُذْنِبُ وَتَتُوبُ فَعَنْهَا خَيْرٌ وَشَرٌّ لَكِنْ إذَا فَعَلَتْ الشَّرَّ تَابَتْ وَأَنَابَتْ فَتُسَمَّى لَوَّامَةً لِأَنَّهَا تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى الذُّنُوبِ وَلِأَنَّهَا تَتَلَوَّمُ أَيْ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَ " النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ " وَهِيَ الَّتِي تُحِبُّ الْخَيْرَ وَالْحَسَنَاتِ وَتُرِيدُهُ وَتُبْغِضُ الشَّرَّ وَالسَّيِّئَاتِ وَتَكْرَهُ ذَلِكَ وَقَدْ صَارَ ذَلِكَ لَهَا خُلُقًا وَعَادَةً وَمَلَكَةً. فَهَذِهِ صِفَاتٌ وَأَحْوَالٌ لِذَاتٍ وَاحِدَةٍ وَإِلَّا فَالنَّفْسُ الَّتِي لِكُلِّ إنْسَانٍ هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَهَذَا أَمْرٌ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ. اهـ

الوقفة الثانية والستون: في قوله: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ يوسف: ٥٥، فيه: جواز أن يُزكي المرء نفسه إذا كانت تزكيته لنفسه لمصلحة دينية أو دنيوية للمسلمين، ولا يتعارض هذا مع قول الله عز وجل: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾[النجم:٣٢]، فهذا زكى نفسه بعلمه بكيفية سياسة الناس في هذه الفترة، وكذلك لحذقه وأمانته، وإنك لتعجب حين ترى حزبيًا يُزكي نفسه مستدلًا بما حصل من يوسف، ذاك زكى نفسه وأقره الشرع.

قال شيخ الإسلام كما في مختصر الفتاوى المصرية (ص: ٥٦٤):

وَأما سُؤال الْولَايَة فقد ذمه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأما سُؤال يُوسُف وَقَوله {اجْعَلنِي على خَزَائِن الأَرْض} فَلِأَنَّهُ كَانَ طَرِيقا إِلَى أَن يَدعُوهُم إِلَى الله ويعدل بَين النَّاس وَيرْفَع عَنْهُم الظُّلم وَيفْعل من الْخَيْر مالم يَكُونُوا يفعلوه مَعَ أَنهم لم يَكُونُوا يعْرفُونَ حَاله وَقد علم بتعبير الرُّؤْيَا مَا يؤول إِلَيْهِ حَال النَّاس فَفِي هَذِه الْأَحْوَال وَنَحْوهَا مَا يُوجب الْفرق بَين مثل هَذِه الْحَال وَبَين مَا نهى عَنهُ . اهـ

الوقفة الثالثة والستون: في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يوسف: ٥٦ أن الفرج يأتي بعد الشدة، فخرج من السجن ليكون ممكنًا في الأرض، وأن هذا الفرج هو رحمة الله: ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[يوسف:٥٦].

الوقفة الرابعة والستون: في قوله: ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يوسف: ٥٧ أن الأجر الحقيقي: هو الأجر المدخر في الآخرة؛ فعن عبد الله بن عمرو

رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تُخْفِقُ وَتُصَابُ، إِلَّا تَمَّ أُجُورُهُمْ» متفق عليه، ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ﴾[النساء:٧٧]، ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى ﴾[الضحى:٤]، ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[الأعلى:١٦-١٧].

الوقفة الخامسة والستون: الضرب في الأرض من أجل تحصيل المعاش والمكاسب، فإخوة يوسف مع أنهم أبناء نبي ذهبوا إلى مصر؛ لطلب معايشهم في قوله: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يوسف: ٥٨ – ٥٩ أن الإنسان لا يُعاجل من يعرفه لا سيما من كان يريد التخفي بالإخبار بشأنه، وإنما يقضي له حاجته بدون تعريفه بنفسه، أو طلب التعريف إلا إذا احتاج لذلك؛ لأنه عرفهم ولم يقل لهم: أنا أخوكم مع أنه المتمكن في ذلك الوقت.

الوقفة السادسة والستون: جواز الحيلة الشرعية: ﴿ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾[يوسف:٥٩]، فهذه حيلة شرعية لطلب أخيه إليه.

الوقفة السابعة والستون: في قوله: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾ يوسف: ٦٠ فيه: جواز التهديد، لكن ينبغي أن يكون المهدد به بحسبه، فبعضهم ربما يُهدد بالموت فيصاب بالجنون أو غير ذلك، يُصاب بالسكتة القلبية

وهذا من قوله: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ ﴾[يوسف:٦٠].

الوقفة الثامنة والستون: في قوله: ﴿ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ يوسف: ٦١

استئذان المالك فيما يملك، واستئذان الوالد فيما يقدم عليه المرء، وفيها: جواز المراضاة فإن الإنسان قد تطلب منه طلبًا يعتذر، أو امرأة قد تُخطب وتعتذر، أو الأب يُستأذن به من أجل مسألة فيعتذر، فلك أن تكرر ذلك حتى يقع الإذن.

الوقفة التاسعة والستون: في قوله: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يوسف: ٦٢ إكرام ذوي الأرحام ومن يكون تحت تصرف الإنسان، فقد أكرم إخوانه برد أموال هم التي اشتروا بها إليهم مع أنه قد دفع لهم المقابل، والمداراة لنيل المطلوب فحين رد بضاعتهم ركنوا إليه.

الوقفة السبعون: من قولهم: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يوسف: ٦٣، أي: مُنِعَ منا الكيل في المستقبل أما الماضي قد أعطاهم وأكرمهم.

الوقفة الواحدة والسبعون: في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[يوسف:٦٣]، فأرادوا أن يُطمنوا أباهم فالناس يخافون على المسافر، فلك أن تقول: لا تخاف عليه إن شاء الله أُعينه وأكون معه ما استعطت إلى ذلك سبيلًا ولا يقع إلا الخير.

الوقفة الثانية والسبعون: في قوله: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ

﴿ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ يوسف: ٦٤ أن من أُصيب من إنسان بشيء قد لا ينساه، وكما يُقال: كيف أوادعك وهذا أثر فأسك، فقال لهم يعقوب عليه السلام: كيف آمنكم عليه وأنتم قد فعلتم بأخيه ما فعلتم، ومع ذلك واتاهم إلى إرادتهم؛ للمصلحة المتحققة لهم.

الوقفة الثالثة والسبعون: في قوله: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ يوسف: ٦٥ الفرح بخيري الدنيا والآخرة، وهذا يُشعر من قوله: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ﴾[يوسف:٦٥]، لما فتحوا ما اشتروه من مصر وجدوا الثمن والقيمة قد رُدت مع ما اشتروه ففرحوا: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾[يوسف:٦٥]، أي: شيء نبغيه فوق هذا: ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾[يوسف:٦٥]، أموالنا التي ذهبنا نشتري بها قد رُدت إلينا سالمة: ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾[يوسف:٦٥]، من جلب الميرة: وهو الطعام، فنجلب لهم الطعام ليتقوتوه، ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا ﴾[يوسف:٦٥]، هذا على الوعد، ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾[يوسف:٦٥]، لأنه كان يُعطي لكل واحد حمل بعيره، ففيها: الفرح بالخير إذا أصاب الإنسان.

الوقفة الرابعة والسبعون: فعل الأسباب الشرعية في التكسب، وأن هذا لا يُناقض التوكل، فما قال لهم أبوهم: توكلوا على الله واجلسوا، ولكن توكلوا على الله واذهبوا إلى ما أنتم فيه.

الوقفة الخامسة والسبعون: في قوله: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ يوسف: ٦٦

أخذ المواثيق والعهود وتعظيم الناس لهذا الشأن؛ لأن نقض الميثاق والعهد ينذر بانتقام الله عز وجل من الناقض: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾[الأنفال:٧١]، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ ﴾[يوسف:٦٦].

الوقفة السادسة والسبعون: الاستثناء، إياك أن تجزم على أمرٍ مستقبلي وإنما قل: إن شاء الله، نرجو من الله، افعل بقدر استطاعتك من قوله: ﴿ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾[يوسف:٦٦]، فقد استثنى، فأحيانًا تقول له: أنا أعيرك هذا القلم لكن ترده إليَّ، يقول: أوعدك أني أرده إليك، فإذا ما ضاع منه قال: أنت قد وعدتني، لكن لك أن تقول: إلا أن يتلف عليك، إلا أن ينتهي منك، إلا أن يسرق عليك، ﴿واللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[يوسف:٦٦]، أي: كفيل، وفيه جواز أن يكون الله كفيلا، لكن مع الحرص على الوفاء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ

أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا " أخرجه البخاري.

الوقفة السابعة والسبعون: في قوله: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾ يوسف: ٦٧ العمل بالأسباب الشرعية في الحذر من العين، وأن هذا لا ينافي التوحيد أو التوكل على ما قال بعض أهل العلم من قوله: ﴿ يَا بَنِيَ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾[يوسف:٦٧]، أي: حتى لا يُصابوا بالعين؛ لأنهم كانوا إحدى عشر عدد طيب والعين حق، وفيه: أن الإنسان لا يتخوف من العين تخوفًا شديدًا، نعم هي حق كما أن القتل حق، والموت حق، والغرق حق، واصطدام السيارة حق، والنار حق وغير ذلك، قد تقع هذه الأشياء، لكن

ما يبقى الإنسان متخوف من العين كأنه يتخوف من القتل، إذا وقعت العين أتى بالأذكار الشرعية، أما بعضهم ربما يحمم وجه ابنه حتى لا يظهر وجهه حسن فيصاب بالعين، يعمل في سيارته كذا حتى لا يُصاب بالعين، يبقى هو وأولاده في خوف، وربما سبقت إليهم العين؛ فتوكل على الله واعمل السبب ولن يُصيبك إلا ما قدر الله عز وجل: ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[يوسف:٦٧]، فإن شاء الله أن يُصيبك بشيء أصابك، وإن شاء أن يُسلمك سلمك، وفعل الأسباب الشرعية لا تُناقض التوكل: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾[يوسف:٦٧]، الحكم الكوني لله وجودًا، والحكم الشرعي لله يجب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والتوكل: هو صدق الاعتماد على الله عز وجل.

الوقفة الثامنة والسبعون: في قوله: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ يوسف: ٦٨ طاعة ولي الأمر في طاعة الله ﷻ: وهو هنا الأب: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[يوسف:٦٨]، فدخلوا من حيث أمرهم أبوهم مع أنهم بعيدون عنه، مع أن جلب المنافع ودفع المضار إلى الله.

الوقفة التاسعة والسبعون: في قوله: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ يوسف: ٦٩ إيناس المظلوم والمغبون والضعيف، فانظر إلى يوسف عليه السلام لما دخل عليه أخوه آواه إليه

ولاطفه بالكلام وأمنه؛ لأنه خرج مع إخوانه وهو خائف أن يقع منهم ما وقع مع يوسف؛ ولذلك أخذ عليهم أبوهم العهد والميثاق، فلما دخلوا على يوسف آوى هذا المستضعف من بينهم وطمنه وقال: ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ ﴾[يوسف:٦٩]، لا تُبالي: ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[يوسف:٦٩]، فأنت في حصنٍ حصين ومنعةٍ.

وفي هذا الكلام: تطمين له لما سيأتي من التهمة، لو كان لا يعلم بأنه أخ له ثم جاءت هذه التهمة ورجع إخوانه إلى بلدهم وأُخذ رقيقًا ربما شق ذلك عليه ويوسف عليه السلام أوحى الله إليه بما يُطمن قلبه: ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[يوسف:١٥].

الوقفة الثمانون: في قوله:﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ يوسف: ٧٠ فيه: أن الأذان يُطلق على رفع الصوت: ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾[يوسف:٧٠]، ليس معناه أنه قال: الله أكبر الله أكبر، وإنما رفع صوته وقال لهم: ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ ﴾[يوسف:٧٠]، ويقصد أصحاب العير، وهذا دليل لمن يقول بالمجاز مع أن الصحيح خلافه: ﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾[يوسف:٧٠]، ناداهم على الجمع مع أن السارق واحد، لكن جواز التهمة للجمع لخشية التمالؤ، فإذا تمالأ قوم على قتل، على سرقة، على اغتصاب على غير ذلك، كان الحُكم شاملًا للجميع.

الوقفة الواحدة والثمانون: في قوله: ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ يوسف: ٧١ السؤال عما يحصل، ما سبب هذ التهمة العظيمة؟ أنكم تتهموننا بالسرقة،

لا تقولون هذا إلا لأنكم فقدتم شيئًا ما هو؟ فأخبروهم: ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ﴾[يوسف:٧٢]، نوع من الآنية يُوزن به.

الوقفة الثانية والثمانون: في قوله: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ ﴾ يوسف: ٧٢ جواز المكافئة على العمل، وهي من قوله: ﴿ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾[يوسف:٧٢]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

الوقفة الثالثة والثمانون: جواز الكفالة، من قوله: ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾[يوسف:٧٢]، والزعيم: الكفيل، وعن أبي امامةرضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»، والكفالة تنقسم إلى قسمين:

الأول: كفالة نفس.

الثاني: كفالة مال.

فإذا كفلت شخصًا كفالة النفس معناه: أنك تلتزم إذا حل الأجل بإحضاره، وإذا كفلت كفالة مال معناه: إذا حل الأجل لزمك الدفع، مثلًا: أقول: أنا ضمين على زيد، لا بد أن يُبين ضمين إحضار أم ضمين دفع؛ لأنه قد يكون فقير لا يستطيع أن يدفع المبلغ الذي تعين على زيد، لكن يستطيع أن يحضره بقوته، فإذا جاء الأجل قال: هذا غريمكم فافعلوا به ما تريدون مما أباحه لكم الشرع، وأما الآخر فيقول: هذا المال يُدفع إليكم.

الوقفة الرابعة والثمانون: في قوله: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ يوسف: ٧٣ دفع التهمة، والمتهم بريء حتى تثبت إدانته، فهؤلاء دفعوا عن أنفسهم التهمة بالقول واليمين: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾[يوسف:٧٣]، وفيه: أن السرقة إفساد.

الوقفة الخامسة والثمانون: في قوله: ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يوسف: ٧٤ - ٧٥ فيه: التأديب فإذا كان سارقًا ووجدناه ما جزاؤه؟ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾[يوسف:٧٥]، قيل: أن يكون عبدًا سنة ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[يوسف:٧٥]، بذنبه يتحمل ما وقع عليه.

الوقفة السادسة والثمانون: في قوله: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف: ٧٦ التعمية، من قوله: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾[يوسف:٧٦]، فلو ذهب مباشرة يبحث لها في وعاء أخيه ثم استخرجها، لربما قالوا: والله ما عملتوها إلا حيلة، لكن بدأ كأنه يبحث في أوعيتهم حقًا، فلا بأس أن يُعمي الإنسان، التعمية مشروعة لا لإضاعة الحق ولكن للحصول على المطلوب.

قالوا: اجتمع مجموعة فكان منهم سارق، فدخلوا على رجل فقال لهم: أنا أعرف السرق، قالوا: كيف؟ قال: هذه الآلة أو هذا الشيء السارق إذا وضع يده فيه مسكته،

وغير السارق لا يتأثر فيه، فجعل البريء يضع يده ويمشي، فلما وصل السارق تهيب لم يضع يده ومشى، ثم إن الرجل جمعهم فجعل يشم أياديهم وينظر فيها، فوجد أن جميعهم قد وقعت علامة في أيديهم إما رائحة وإما لون وذلك ليس في يده شيء فقال له: أنت السارق، وبعضهم ربما بالقلب يأتي يُصافح هذا وهذا وهذا ما شاء الله كلهم مطمئن، فإذا وجد المتهم يبدأ قلبه يضخ.

الوقفة السابعة والثمانون: أن بعض الأعمال وإن كان ظاهرها الضعة فهي للرفعة، فأراد الله أن يرفع يوسف وأخاه بهذه الحيلة الشرعية.

الوقفة الثامنة والثمانون: في قوله: ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ ﴾ يوسف: ٧٧ من وقع في شر أو معصية إلا أن يتوب توبة نصوحا وإلا ربما تقع فيه رواسب، والظلم يجر إلى الظلم، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾[يوسف:٧٧]، يعني: سبحان الله ما وجدوا ما يقولوه إلا أن يتهموا يوسف بالسرقة، يريدون أن ينفوا عنهم التهمة وأن هذا ليس منا وليس أخونا هذا تأثر بأخيه الذي هو أكبر منه، وهذا ظلم فوق ظلم، ظُلِمَ حين ألقوه في البئر ثم ظُلِمَ حين قيل له هذا القول، الأولى أن يعترفوا بخطئهم الأول والأخير، لكنهم أبوا إلا أن يجرحوا قلبه.

الوقفة التاسعة والثمانون: إثبات صفة الكيد لله ﷻ، وهي من صفات المقابلة على ما يليق بجلاله .

قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٣/ ١٧١):

فَنَسَبَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْكَيْدَ إلَى نَفْسِهِ كَمَا نَسَبَهُ إلَى نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} [الطارق: ١٥] {وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٦] ، وَفِي قَوْلِهِ: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا} [النمل: ٥٠] ، وَفِي قَوْلِهِ: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠] .

وَقَدْ قِيلَ: إنَّ تَسْمِيَةَ ذَلِكَ مَكْرًا وَكَيْدًا وَاسْتِهْزَاءً وَخِدَاعًا مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ وَمَجَازِ الْمُقَابَلَةِ نَحْوُ: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى: ٤٠] ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤] وَقِيلَ وَهُوَ أَصْوَبُ: بَلْ تَسْمِيَتُهُ بِذَلِكَ حَقِيقَةً عَلَى بَابِهِ؛ فَإِنَّ الْمَكْرَ إيصَالُ الشَّيْءِ إلَى الْغَيْرِ بِطَرِيقٍ خَفِيٍّ، وَكَذَلِكَ الْكَيْدُ وَالْمُخَادَعَةُ، وَلَكِنَّهُ نَوْعَانِ: قَبِيحٌ وَهُوَ إيصَالُ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ، وَحَسَنٌ وَهُوَ إيصَالُهُ إلَى مُسْتَحِقِّهِ عُقُوبَةً لَهُ؛ فَالْأَوَّلُ مَذْمُومٌ وَالثَّانِي مَمْدُوحٌ، وَالرَّبُّ تَعَالَى إنَّمَا يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ عَدْلًا مِنْهُ وَحِكْمَةً، وَهُوَ تَعَالَى يَأْخُذُ الظَّالِمَ وَالْفَاجِرَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ لَا كَمَا يَفْعَلُ الظَّلَمَةُ بِعِبَادِهِ.

وَأَمَّا السَّيِّئَةُ فَهِيَ فَيْعَلَةٌ مِمَّا يَسُوءُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعُقُوبَةَ تَسُوءُ صَاحِبَهَا؛ فَهِيَ سَيِّئَةٌ لَهُ حَسَنَةٌ مِنْ الْحَكَمِ الْعَدْلِ، وَإِذَا عَرَفْتُ ذَلِكَ فَيُوسُفُ الصِّدِّيقُ كَانَ قَدْ كِيدَ غَيْرَ مَرَّةٍ: أَوَّلُهَا أَنَّ إخْوَتَهُ كَادُوا بِهِ كَيْدًا حَيْثُ احْتَالُوا بِهِ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، ثُمَّ إنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ كَادَتْهُ بِمَا أَظْهَرَتْ أَنَّهُ رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا ثُمَّ أُودِعَ السِّجْنَ، ثُمَّ إنَّ النِّسْوَةَ كَادُوهُ حَتَّى اسْتَعَاذَ.

بِاَللهِ مِنْ كَيْدِهِنَّ فَصَرَفَهُ عَنْهُ، وَقَالَ لَهُ يَعْقُوبُ: {لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ

فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} [يوسف: ٥] وَقَالَ الشَّاهِدُ لِامْرَأَةِ الْعَزِيزِ: {إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [يوسف: ٢٨] . وَقَالَ: {ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٠] فَكَادَ اللهُ لَهُ أَحْسَنَ كَيْدٍ وَأَلْطَفَهُ وَأَعْدَلَهُ، بِأَنْ جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ أَيْدِي إِخْوَتِهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ كَمَا أَخْرَجُوا يُوسُفَ مِنْ يَدِ أَبِيهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، وَكَادَ لَهُ عِوَضَ كَيْدِ الْمَرْأَةِ بِأَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ ضِيقِ السِّجْنِ إِلَى فَضَاءِ الْمُلْكِ، وَمَكَّنَهُ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ، وَكَانَ لَهُ فِي تَصْدِيقِ النِّسْوَةِ اللَّاتِي كَذَّبْنَهُ وَرَاوَدْنَهُ حَتَّى شَهِدْنَ بِبَرَاءَتِهِ وَعِفَّتِهِ، وَكَادَ لَهُ فِي تَكْذِيبِ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ لِنَفْسِهَا وَاعْتِرَافِهَا بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي رَاوَدَتْهُ وَأَنَّهُ مِنْ الصَّادِقِينَ؛ فَهَذِهِ عَاقِبَةُ مَنْ صَبَرَ عَلَى كَيْدِ الْكَائِدِ لَهُ بَغْيًا وَعُدْوَانًا. اهـ

الوقفة التسعون: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾[يوسف:٧٧]، فيه: كتم الغيظ، والله عز وجل يقول: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران:١٣٤]، وفيه: عدم التسرع، فإن يوسف بأخذه لأخيه يريد أن يصل إلى ما هو أعلى من هذا، فلو قال لهم: أنتم السرق قالوا: وما أدراك، وإلا أنت متعصب أو غير ذلك، لكن أسرها يوسف في نفسه وهذا خُلق الكريم، فالكريم قد يضغط نفسه ولا يكون متعجلًا متسرعًا وإن هُضِم، يعني: يقولون فيه سارق وهو نبي كريم وملك مصر في حينه، إلا أنه قال: ﴿ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ﴾[يوسف:٧٧]، لعله أراد أن يدفع التهمة عن يوسف وعن بنيامين .

الوقفة الواحدة والتسعون: في قوله: ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ

﴿أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ يوسف: ٧٨ المراجعة والشفاعة إلا في الحدود وإلا رجل سُجِن أو أُخِذ تشفع فيه، وفيه: جواز إظهار العذر، كأن تقول اترك هذا أمه محتاجه، أولاده ينتظرونه إلى غير ذلك، ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[يوسف:٧٨]، وفيه: جواز المبادلة في السجن، رجل مسجون يريد أن يرجع إلى زيارة أهله وأرحامه، وربما خشوا عدم رجوعه له أن يُعطي ضمينًا، إلا أنهم الآن يقومون بالضمانة التجارية بمعنى: أنه يتحمل ما لزم هذا المضمون، فلو وجدت ضمانة حضورية هذا يُسجن بدل عنك وأنت تذهب لقضاء حاجتك فإذا انتهيت رجعت إليه فهذا جائز.

الوقفة الثانية والتسعون: في قوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ يوسف: ٧٩ البعد عن الظلم: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴾[يوسف:٧٩]، والآن يأخذون الجار بجرم الجار، فينبغي أن الإنسان لا يأخذ إلا الظالم بجريرته وفعل نفسه.

الوقفة الثالثة والتسعون: في قوله: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمُونِى فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ يوسف: ٨٠ جواز المناجاة وأهمية ذلك، فإنهم فعلوا ذلك للتشاور: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾[يوسف:٨٠]، أي: جعلوا يتشاورون فيما بينهم، هل يرجعون جميعًا ويتركونه، هل يبقون جميعًا حتى يُخرجونه، فكان الشور من كبيرهم: ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا

أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾[يوسف:٨٠]، أي: ارجعوا أنتم وأنا سأبقى، وهذا أيضًا فيه ربط على قلب يعقوب، وفيه إبقاء للأمل، فلو رجعوا جميعًا لربما نسوه، أو خشيوا أن يرجعوا مرة أخرى فيُسجنوا، لكن ذهبوا جميعًا وبقي الأخ الأكبر يتلطف في أخيه.

وفيه: دليل لمذهب أهل الحق: بأن لن لا تُفيد التأبيد من قوله: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾[يوسف:٨٠]، فلو كانت لن تُفيد التأبيد ما كان في تقييدها بإذن الأب مصلحة.

الوقفة الرابعة والتسعون: في قوله: ﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ يوسف: ٨١ ، فيه: التلطف في الإخبار، ما تأتيه وتقول له: ابنك سارق لا سيما في مثل هذا الحال رجل ما عنده تلك التهمة ولا حول شيء، تصل وتقول له: ولدك سارق، أو ابنك كذا، لكن تلطف والله يا أخي قد يطيش الإنسان، قد يتطلع لمال الغير، النفس ضعيفة، أو الناس يزعمون أن ابنك كذا وما نراه كذا، لكن ماذا نقول للناس، يعني: الإنسان يُبدي العذر ويتلطف في حال الإخبار، ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾[يوسف:٨١]، أخبرنا بما أخبرونا، ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ ﴾[يوسف:٨١]، قد يكون بريء في نفس الأمر.

الوقفة الخامسة والتسعون: في قوله: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ يوسف: ٨٢ ذِكر الحجة والبينة فيما يذكره الإنسان: ﴿ وَاسْأَلِ

الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾[يوسف:٨٢]، أي: اسأل أهل القرية الذين كنا عندهم، ما يسأل المساكن والبيوت، ﴿ وَالْعِيرَ ﴾[يوسف:٨٢]، أي: أصحاب العير التي أقبلنا فيها، ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[يوسف:٨٢]، في نقلنا.

الوقفة السادسة والتسعون: فيه بيان أن ما ادعاه أصحاب المجاز مجازاً ليس بصحيح، حيث زعموا أنه قال القرية، وهي حقيقته في البيوت مجاز في الناس والصحيح أن القرية تطلق على البيوت، كقوله: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأحقاف: ٢٧].

قال الشنقيطي في منع جواز المجاز (ص: ٢٧):

قوله: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} من وجهينِ أيضًا:

الأول: أَنَّ إطلاق القريةِ وإرادة أهلها من أساليبَ اللغة العربية أيضًا كما قدَّمنا.

الثاني: أنَّ المضافَ المحذوفَ كأنَّه مذكورٌ لأنه مدلولٌ عليه بالاقتضاء، وتغييرُ الإعراب عند الحذفِ من أساليب اللُّغةِ أيضًا كما عقده في "الخلاصة" بقوله:

وما يلي المضافَ يأتي خلفًا ... عنه في الإعراب إذَا ما حُذِفَا

مع أنَّ كثيرًا مِن علماء الأصول يُسمُّونَ الدّلالةَ على المحذوفِ في نحو قوله: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} [سورة يوسف: ٨٢] دلالة الاقتضاء.

واخْتلفُوا هل هي من المنطوقِ غير الصريح، أو من المفهوم. اهـ

الوقفة السابعة والتسعون: في قوله: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ يوسف: ٨٣ أن من

لُدِغَ من جُحر لا يُلدغ منه مرتين، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»، فيعقوب عليه السلام مع أخذه للميثاق من أبنائه حين أتوه بهذا العُذر ما قبل منهم: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾[يوسف:٨٣]، هذه مكيدة أخرى لهذا الابن المحبوب إلى أبيه.

قال ابن القيم بدائع الفوائد (٣/ ١١٢):

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحة مرارا يقول: "ذكر الله الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل فالصبر الجميل الذي لا شكوى معه والهجر الجميل الذي لا أذى معه والصفح الجميل الذي لا عتاب معه" اهـ

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾[يوسف:٨٣]، فيها: أن الإنسان يصبر الصبر الجميل فلا يتسخط ولا يُصخب ولا يرفع صوته؛ لأن التسخط ما سيحقق له شيء كرفع الصوت، إنما يُذهب صحته وربما أضعف حُجته، لكن صبر جميل يظهر معه الهدوء والسكينة وغير ذلك، وما شاء الله سيكون .

الوقفة الثامنة والتسعون: الرجاء في الله لا ينقطع أبدًا فإن الله لا يُعجزه شيء: ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾[يوسف:٨٣]، وعسى في حق الله موجبة، ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴾[يوسف:٨٣]، بحالي، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾[يوسف:٨٣]، في أفعاله.

الوقفة التاسعة والتسعون: في قوله: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ يوسف: ٨٤ ، أن المصائب تتفاوت وهذا حاصل فقد يموت شخص ويبكي أبوه وأمه على الذي قد مات قبله، فلو مات طفل

صغير فيذكرون الذي مات كبيرًا أو الذي كان له عندهم منزلة، يكون الكبير أو المحبوب وهكذا، فيعقوب عليه السلام الذي فُقِد في هذا الوقت هو بنيامين ومع ذلك بكى على يوسف؛ ولشدة بكائه: ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ﴾[يوسف:٨٤]، حزن شديد في فقد الولد، لو مات كان أهون، لو سُجن كان أهون، لكن أن يضيع ما تدري أين هو أهو حي أو ميت،والأسف يأتي بمعنيين:

الأول: بمعنى الغضب، وهذا ثابت لله ﷻ على ما يليق بجلاله، لقول الله ﷻ: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الزخرف: ٥٥].

الثاني: بمعنى الحزن.

وهو هنا بمعنى الحزن، فالأسف بمعنى: الحزن منتفي عن الله عز وجل.

الوقفة المتمة للمائة. في قوله :﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ يوسف: ٨٥ شدة الحزن والوجد على فراق المحبوب، وفيه بيان للمثل: (النار لا تحرق إلا من داس عليها)، فإن من يراجع يعقوب عليه السلام لا يعلم مرارة الفراق .

الوقفة الواحدة بعد المائة: في قوله:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ يوسف: ٨٦، فيه: الشكوى إل الله عز وجل، وأن الشكاء إلى الناس كما يقول العامة: مذلة، وقد قال بعضهم أبياتًا:

لَا تُظهِرَنَّ لِعاذِلٍ أو عَاذِرٍ حَالَيكَ في السَّرّاءِ والضرّاءِ
فلرحمة المتوجعين حزازة في القلب مثل شماتة الأعداء

يعني: لا تظهر حالك للعاذل الذي يذمك، ولا للعاذر الذي يعذرك ويلتمس لك الأعذار؛ لأن العاذل يشمت بك، والعاذر يتألم عليك، فوطن نفسك على الصبر، وحين شكى النبي صلى الله عليه وسلم على ربه بقول: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[آل عمران:١٧٣]، نصره الله، وهكذا إبراهيم عليه السلام.

الوقفة الثانية بعد المائة: أن الحزن لا يسلم منه أحد إلا أنه في حق المؤمن كفارة: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ مِنْ خَطَايَاهُ» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الوقفة الثالثة بعد المائة: في قوله: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧، إرسال من يأتي بالخبر، وقيل: الفرق بين التحسس والتجسس: أن التحسس يكون في الأمر المحمود، والتجسس يكون في غير ذلك، وقيل: هو بمعنى واحد، فقد جاء في قراءة: (ولا تَحسَسوا)، وفي قراءة: (ولا تجسسوا).

الوقفة الرابعة بعد المائة: وهنا مسألتان:

الأولى: اليأس من روح الله.

والثانية: القنوط من رحمة الله.

وكلاهما من كبائر الذنوب وعظيم الآثام كما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه عند عبد الرزاق وغيره: «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، والْإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»؛ لأن اليأس من روح الله والقنوط من رحمته تعطيل

لله عز وجل من صفات كماله وعظيم جلاله كالرحمة، والمغفرة، والعفو، والتجاوز، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد، ولو يعلم المؤمن ما عند الله من العذاب ما طمع في جنته أحد، فكن وسطًا في باب الرجاء والخوف، إلا أنك غلب جانب الرجاء عند الموت: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ».

الوقفة الخامسة بعد المائة: التحذير من مشابهة الكافرين من قوله: ﴿ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ ﴾[يوسف:٨٧]، والتشبه بالكافرين كبيرة عظيمة، قال الله عز وجل: ﴿ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[الروم:٣١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الوقفة السادسة بعد المائة: في قوله: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يوسف: ٨٨، فيه: الشكوى على القادر لدفعها ورفعها، والضر الذي أصابهم بنقص المعايش وفقد الأحبة، فاجتمع عليهم همان قالوا: ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ﴾[يوسف:٨٨]، ليست بالطيبة وليست بالكاملة وإنما بين ذلك.

الوقفة السابعة بعد المائة: في قوله: ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[يوسف:٨٨]، في طلب الوفاء في الكيل، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «زِنْ فَأَرْجِحْ»، والله عز وجل يقول : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[المطففين:١-٣]، والزيادة في الكيل تنفع المشتري ولا تضر البائع، وقد جاء عن حُذَيْفَةَ وأبي مسعود الأنصاري

رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال: " أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي "، يعني: تجوز في الكيل، أو في الحجم، أو في الثمن، فمن فعل ذلك له أجر من الله عز وجل: «نَحْنُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي».

الوقفة الثامنة بعد المائة: أن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين قال تعالى: ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾[النبأ:٢٦]، ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾[النبأ:٣٦]، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[يوسف:٨٨]، أي: يجازيهم بقبول أعمالهم وبمضاعفة أجورهم، ومنه قول رسول اللهﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ».

الوقفة التاسعة بعد المائة: في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾** ﴾ يوسف: ٨٩ العتاب الحميد من قوله: ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾[يوسف:٨٩]، فلم يقل لهم: أنا يوسف وسأنتقم منكم وأنتم فعلتم وآذيتم أخي، وإنما وضع لهم السؤال كالموبخ لهم على صنيعهم السيء، وأن هذا الفعل صدر منهم في حال جهلهم، والجهل جهلان:

الأول: جهلٌ بمنعى: فقد العلم.

الثاني: جهلٌ بمعنى: الجهالة في الفعال بمخالفة العلم، وهذا هو الذي قصده يوسف عليه السلام.

الوقفة العاشرة بعد المائة: في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يوسف: ٩٠، فيه: استخدام القرائن، فلو كانوا يعرفون أنه يوسف من أول يوم لما عجبوا من هذا الأمر، لكن علموا ذلك بقرينة الحال فإن يوسف قصته عجيبة ولا يعلم ما فعلوا به من البشر إلا يوسف عليه السلام، وإلا الذين اشتروه ما يدرون ما هي قصة يوسف، أبوه لا يدري ما هي قصة يوسف بعد أن أخذوه، فاستدلوا بالقرينة على أنه يوسف عليه السلام.

الوقفة الحادية عشرة بعد المائة: في قوله: ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا ﴾[يوسف:٩٠]، فيه: أن المنة لله في الخفض، والرفع، والإعطاء، والمنع، والحفظ وغير ذلك، فانظر كيف رد الأمر إلى الله عز وجل، وهكذا ينبغي لجميع الموحدين أن يكون على هذا الأمر، هجيرهم بالإخبار عن الله ونعمه على العباد.

الوقفة الثانية عشرة بعد المائة: قوله: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[يوسف:٩٠]، التقوى إذا لازمت العبد فعل بها المأمور وترك المحظور، ويكون بها الصبر على المقدور، والإنسان مأمور بهذه الثلاثة: فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور، فإن فعل ذلك فهو سعيد في الدنيا والآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

الوقفة الثالثة عشرة بعد المائة: في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يوسف: ٩١ القسم بدون استحلاف من قولهم: ﴿

تَاللهِ ﴾[يوسف:٩١]، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»، «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ»، «لَا وَمُصَرِّفِ الْقُلُوبِ»، من غير أن يُستحلف، والحلف يؤتى به لتوكيد المحلوف عليه.

الوقفة الرابعة عشرة بعد المائة: الاعتراف بالخطأ، وهذا إنما يتميز به الخُلص والجِلة، وإلا فإن كثيرًا من الناس تتجارى بهم أهواؤهم وتتلاعب بهم نفوسهم، والاعتراف بالذنب فضيلة، قال بعض أهل العلم: حال الإنسان مع الخطأ ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يقول: ما فعلت.

الحالة الثانية: أن يقول: فعلت وقصدي كذا.

الحالة الثالثة: أن يقول: فعلت وأعتذر، وهذه أكمل الحالات حيث اعترف بجريرة نفسه وتخلص من خطئه، فقولهم: ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾[يوسف:٩١]، هو اعتذار بصورة الخبر، أي: كنا خاطئين حين تمالأنا عليك وألقيناك في تلك المفازة الموحشة، وبعناك بثمن بخسٍ دراهم معدودة، زد على ذلك حين اتهموه بالسرقة والله المستعان، والله عز وجل يقول: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

الوقفة الخامسة عشرة بعد المائة: في قوله: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ

﴿لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ يوسف: ٩٢، وهذا فعل الكرام، الكريم إذا ملك عفا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لسلمة: «مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ»، أي: تجاوز، و عن عائشة، قالت: قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم -: "أقِيلُوا ذَوِي الهيئاتِ عَثَراتِهم إلا الحُدُودَ» أخرجه أبو داود .

وقد اجتمعت في حالهما حُسن الخصال، فالأخوة اعتذروا عن خطئهم، ويوسف تجاوز عن خطئهم وزلتهم حتى أنه لم يعاتبهم كما سيأتي في آخر الأمر، بل أضاف ما وقع بينه وبينهم من الشيطان، وهكذا إذا وقع بين الأخ وأخيه شيء يُضاف الأمر إلى نزغات الشيطان فإنه حريص على تفتيت الأخوة وتمزيقها، وهو يفرح إذا طاش الأخوة بعضهم على بعض، وينبغي للمجتمع المسلم أن يكون بعيدًا عن الطيشان:

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

فمن نشأ على الطيشان يبقى في طيشانه لا ينتفع الناس بدعوته ولا يستفيدون من طريقته، ومن تربى على السكينة والتؤدة والهدوء والتجاوز يُرجى أن يرفعه الله عز وجل، فعن أبي هريرةﷺ قال: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ الله وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا» أخرجه مسلم .

الوقفة السادسة عشرة بعد المائة: وفي قوله: {اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} [يوسف: ٩٧] أن الإنسان إذا وقع منه خطأ على أخيه أن يكون همه تجاوز الله بطلب التجاوز من أخيه؛ لأن الحقوق مبناها على المشاحة سواءً كان الحق مالًا أو قولًا أو فعلًا، فعن أبي هريرةﷺ في حديث المفلس: «فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ

حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» أخرجه مسلم، وهنا يقول: ﴿ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾[يوسف:٩٢]، أي: يتجاوز عنكم.

ولذلك فاعلم أن الحقوق التي يقع فيها الناس فيها حق لله، وحق للمخلوق، فما كان للمخلوق لا بد أن يُستوفى إما في الدنيا بالعفو أو الأرش أو القصاص، وإما في الآخرة بالحسنات، وما كان لله عز وجل فهو مبني على العفو والصفح: ﴿ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾[يوسف:٩٢]، أي: يتجاوز عنكم فيما سلف من سيء أمركم ويوفقكم لخير أعمالكم: ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[يوسف:٩٢] .

الوقفة السابعة عشرة بعد المائة: في قوله تعالى: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ يوسف: ٩٣ البشارة وما فيها من أسباب الفرج: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾[يوسف:٩٣]، فأراد أن يستبشر يعقوب عليه السلام بشم ريح يوسف، ويجعل الله عز وجل في ذلك كرامة عظيمة وهذا من دلائل النبوة.

الوقفة الثامنة عشرة بعد المائة: التوسعة والعطاء فإنه على من أساء فإنه من تمام الكرم إذا كان أهلًا لذلك، فانظر إلى يوسف عليه السلام قال: ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[يوسف:٩٣]، حتى لا تبقى عليهم تبعة، فيأتون بأبيهم ثم يحتاجون إلى سفر آخر.

الوقفة التاسعة عشرة بعد المائة: من قوله: ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾[يوسف:٩٤]، التخوف من العتاب، وهذا يقع كثيرًا بين الآباء والأبناء

لا سيما إذا كَبُرَ الأب وضعف ربما تنمر عليه أبناؤه وأصبح هجيرهم: أنت متوهم، أنت ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾

﴾ يوسف: ٩٤ تخرف، أنت كذا، وقد يختلفون من حيث حُسن الخلق من عدمه في العبارة، بل إن بعضهم ربما يضحك إذا تكلم أبوه بشيء فيتأثر الأب، أو ربما يقول: لو كنت أنا لكان كذا فيتأثر الأب، فينبغي للإنسان أن يُراعي مشاعر أبيه وأمه ومن إليهم، ولا تقل: بأنهم لا يتأثرون، إذا كَبُرَ سنهم ورق عظمهم واحدودبت ظهورهم يتأثرون مما لا يُتأثر منه في أمر قد ولى وربما بكوا ورُفِعت أصواتهم، وبين الحين والآخر يتذكرون مثل تلك المواقف التي صدرت من ولدهم.

وفيه: أن الإنسان يُخفف اللوم إلا ما لا بد منه؛ لأن القلوب تتأثر:

إنَّ القلـــوبَ إذا تنـــافرَ وُدُّهـــا ... شِـبْهُ الزجاجـةِ كسـرها لا يُجْبَـرُ

وانظر كيف حصل ما تخوفه: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ يوسف: ٩٥، في أمرك السابق من الظن بحياة يوسف ويوسف قد ذهب، وأصحاب هذا القول هم الذين عنده من الأحفاد ونحوه، أما الذين جاءوا بالبشارة ما سيقولون هذا الكلام، لكن قد كان ذهب بعضهم وبقي بعضهم، فالذين عنده لما أخبرهم أنه يجد ريح يوسف قالوا: هذا من الضلال القديم الذي أنت عليه والله المستعان، والضلال قد يُطلق على مخالفة الهدى، وقد يُطلق على الجهل: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾[الضحى:٧].

الوقفة العاشرون بعد المائة: في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ

﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يوسف: ٩٦ فضل البشارة، والنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه وفد ربما بشرهم، ففي حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَرُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَجَاءَ نَفَرٌ مِنَ اليَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ» قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ» أخرجه البخاري .

﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ﴾[يوسف:٩٦]، أي: الثوب والقميص: ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾[يوسف:٩٦]، كرامةً من الله عز وجل: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[يوسف:٩٦]، صفح وعتاب كريم حميد.

الوقفة الواحدة والعشرون بعد المائة: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ يوسف: ٩٧ – ٩٨ طلب الدعاء والاستغفار من الرجل الصالح من قولهم: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾[يوسف:٩٧]، والرجل الصالح ينبغي ألا يبخل على غيره بالدعاء، فإن عند رأسه ملك موكل يقول: آمين ولك بمثل، كما في حديث أبي الدرداء ﷺ في مسلم، ثم إن الدعاء شفاعة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ»، ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾[يوسف:٩٨]، إما في ساعة إجابة، وإما أن يلازم ذلك.

وقد ذهب ضُلال القرامطة: إلى أن يوسف هو الحقيقة، قالوا: بمجرد ما قالوا: ﴿

اسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾[يوسف:٩٧]، قال: ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾[يوسف:٩٢]؛ لأنه الحقيقة عندهم، بمعنى: أنه الله عندهم.

وأما يعقوب لما لم يكن كذلك: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾[يوسف:٩٧]، قال: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾[يوسف:٩٨]، وهذا كلام باطل إنما يوسف عفا عن حقه ورجى من الله التجاوز عنهم، ويعقوب وعدهم بذلك والاستمرار عليه، أو أنه يستغفر لهم في الحال إذ لا مانع من ذلك.

الوقفة الثانية والعشرون بعد المائة: من قوله: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يوسف: ٩٩ - ١٠٠، أي: أدخل أبويه عليه ورحب بهم وأهل، وفي بعض الإسرائيليات: بأن يوسف عليه السلام لا ولد له، والسبب في ذلك: أنه ما قام لأبيه حين دخل عليه، وهذا لا دليل عليه لا من قريب ولا من بعيد، ويوسف من الأبرار عليه السلام.

يدل عليه قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[يوسف:١٠٠]، إكرامًا لهم، ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾[يوسف:١٠٠]، أي: إخوانه، ولعل هذا كان صائغًا في شريعتهم للتحية لا للعبادة، ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾[يوسف:١٠٠]، أي: هذا حقيقة رؤياي من قبل قد وقعت بعد التفسير السابق.

الوقفة الثالثة والعشرون بعد المائة: قوله: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾[يوسف:١٠٠]، رد الخير إلى الله عز وجل جلبًا ونفعًا.

الوقفة الرابعة عشرة بعد المائة: قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾[يوسف:١٠٠]، أضاف الشر الذي حصل إلى الشيطان، ففي مسلم عن جابر رضي الله عنه: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»، فانظر أين وصل الشيطان بالإنسان، جعل ابن آدم يقتل أخاه، وجعل إخوة يوسف يلقونه في اليم مع أنهم أبناء أنبياء، وأخوهم نبي، وهم أهل إيمان إلا أن الشيطان له نزغات بين الإخوة.

الوقفة الخامسة والعشرون بعد المائة: من قوله: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١، الاعتراف بفضل الله الواسع، والتوسل إلى الله عز وجل بنعمته على العبد، ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[يوسف:١٠١]، خالق السماوات والأرض، وفيها التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، ﴿ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾[يوسف:١٠١]، دعاء بصورة خبر، كأنه يقول: تولني في الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧٠):

وَالصَّحِيحُ مِنْ الْقَوْلَيْنِ أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْ الْمَوْتَ وَلَمْ يَتَمَنَّهُ. وَإِنَّمَا سَأَلَ أَنَّهُ إذَا مَاتَ يَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ فَسَأَلَ الصِّفَةَ لَا الْمَوْصُوفَ كَمَا أَمَرَ اللهُ بِذَلِكَ؛ وَأَمَرَ بِهِ خَلِيلَهُ إبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ؛ وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ؛ مِنْهُمْ ابْنُ عَقِيلٍ وَغَيْرُهُ. وَاَللهُ

تَعَالَى أَعْلَمُ. اهـ

الوقفة السادسة والعشرون بعد المائة: في قوله: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[يوسف:١٠١]، ظن بعضهم: أنه دعا على نفسه بالموت وليس كذلك، وإنما دعا لنفسه بالثبات على دين الله عز وجل حتى يلقى الله عز وجل، وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، «يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، وكقول عبد الله بن مسعود: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ.

الوقفة السابعة والعشرون بعد المائة: في قوله عز وجل: في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ يوسف: ١٠٢، أي: أن الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ذلك الذي تقدم ذكره من قصة يوسف عليه السلام وما جرى بينه وبين إخوته في صغره وكبره: ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾[يوسف:١٠٢]، من أمور الغيب التي: ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾[هود:٤٩]، وإما أطلعه الله عليها، ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾[يوسف:١٠٢]، ما كنت عندهم، ﴿ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ﴾[يوسف:١٠٢]، إذ بيتوا أمرهم المنكر واجتمعوا عليه، ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[يوسف:١٠٢]، بيوسف ومع ذلك: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[الأنفال:٣٠].

الوقفة الثامنة والعشرون بعد المائة: في قوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ يوسف: ١٠٣، وهذه آية عظيمة فيها تسلية للمؤمنين، وأن

أكثر الناس على غير الاستقامة قال الله عز وجل: ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سبأ:١٣]، ففي البيت الواحد، وفي المدينة والواحدة، وفي القبيلة الواحدة، وفي القطر الواحد أكثر الناس عندهم ضعف في الاستقامة، وأقل الناس هم أصحاب الاستقامة ظاهرًا وباطنًا.

الوقفة التاسعة والعشرون بعد المائة: في قوله عز وجل: ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ يوسف: ١٠٤، لأن سؤال الأجر يضجرهم ويزهدهم في الخير، قال تعالى: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ } [محمد: ٣٦، ٣٧] أي: فيما ذكرناه لك، وفيما تدعوهم إليه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾[يوسف:١٠٤]، ذِكر يُتلى فيستفيد منه المؤمنون الذي: ﴿ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق:٣٧].

الوقفة الثلاثون بعد المائة: في قوله عز وجل: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ يوسف: ١٠٥، يعني: هذه القصة التي ذكرناها لك فيها من العبر الشيء الكثير، لكن هؤلاء الذين يُشركون ويندون كم من آية يمرون عليها معرضين فيمرون على أخبار قوم فرعون، وقوم نوح، وقوم لوط، وقوم إبراهيم، وقوم موسى، وقوم عيسى ولا يستفيدون منها، وينظرون إلى الآيات الكونية كالشمس، والقمر، والنجوم: ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[يوسف:١٠٥]، أي: لا يزداد إيمانهم، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ

اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:١٨٥].

الوقفة الواحدة والثلاثون بعد المائة: في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾** ﴾ يوسف: ١٠٦، قيل: ما يؤمن أكثرهم بالله في الربوبية إلا وهو مُشرك في الألوهية كما فسرها بعض السلف، يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر ولكنهم يُشركون بأن العبادة خاصة لله عز وجل لا يجوز أن يُشرك معه غيره لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مُرسلًا، وفي هذه الآية وعيد عظيم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ ﴾[يوسف:١٠٦]، يُثبت لهم إيمان بالله بالجملة، ثم يقول: ﴿ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[يوسف:١٠٦]، يُثبت لهم الشرك الذي لا يغفره الله ولا يتجاوز عن صاحبه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا ﴾[النساء:١١٦].

الوقفة الثانية والثلاثون بعد المائة: في قوله تعالى مُهددًا للكفار: ﴿ **أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾** ﴾ يوسف: ١٠٧، أفأمنت قريش ومن إليها: ﴿ أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ} داهية وصاعقة ومصيبة تغشاهم {مِنْ عَذَابِ اللهِ ﴾[يوسف:١٠٧]، كما أتت الذين من قبلهم فتهلكهم، ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾[يوسف:١٠٧]، يوم القيامة، ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[يوسف:١٠٧]، معرضون في غمرتهم ساهون.

الوقفة الثالثة والثلاثون بعد المائة: بيان شأن الدعوة إلى الله ﷻ وماهيته: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ**

﴿ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨، أي: أن طريق النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الله، فلنتأسى به في ذلك، ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ علم: ﴿ أَدْعُوا إِلَى اللهِ ﴾[يوسف:١٠٨]، تعالى، لا إلى غيره وهذا دليل الإخلاص، ومن اتبعني يدعون إلى الله على بصيرة ، وقيل: المعنى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾[يوسف:١٠٨]، أي: على علم ودراية بحال الدعوة وحال المدعو، فهذا هو فقه الدعوة: أن يكون عندك خبرة بحال الداعي، وحال المدعو، وحال ما يُدعى إليه: ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[يوسف:١٠٨]، فيه: فضيلة الاتباع، قال الله عز وجل: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[الأعراف:٣]، وقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[آل عمران:٣١]، ﴿ وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف:١٠٨]، تنزيه الله عن جميع النقائص والمعائب، وتزكية النفس مما هي عليه بدون غرور أو عُجب من قوله: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف:١٠٨]، أو فيها البراءة من الشرك: ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾[الزخرف:٦٢-٢٧].

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ١٦٥):

فَمَجْمُوعُ أُمَّتِهِ تَقُومُ مَقَامَهُ فِي الدَّعْوَةِ إلَى اللهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ إجْمَاعُهُمْ حُجَّةً قَاطِعَةً فَأُمَّتُهُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ وَإِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الْأُمَّةِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ مِنْ الدَّعْوَةِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُهُ سَقَطَ عَنْهُ وَمَا عَجَزَ لَمْ يُطَالَبْ بِهِ. وَأَمَّا مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ؛ وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَقُومَ بِمَا لَا يَجِبُ عَلَى هَذَا وَقَدْ

تَقَسَّطَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى الْأُمَّةِ بِحَسَبِ ذَلِكَ تَارَةً وَبِحَسَبِ غَيْرِهِ أُخْرَى؛ فَقَدْ يَدْعُو هَذَا إلَى اعْتِقَادِ الْوَاجِبِ وَهَذَا إلَى عَمَلٍ ظَاهِرٍ وَاجِبٍ وَهَذَا إلَى عَمَلٍ بَاطِنٍ وَاجِبٍ؛ فَتَنَوُّعُ الدَّعْوَةِ يَكُونُ فِي الْوُجُوبِ تَارَةً وَفِي الْوُقُوعِ أُخْرَى. وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الدَّعْوَةَ إلَى اللهِ تَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ لَكِنَّهَا فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ الْمُعَيَّنِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهَذَا شَأْنُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَتَبْلِيغِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَتَعْلِيمِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ. وَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ الدَّعْوَةَ نَفْسَهَا أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ فَإِنَّ الدَّاعِيَ طَالِبٌ مُسْتَدْعٍ مُقْتَضٍ لِمَا دُعِيَ إلَيْهِ وَذَلِكَ هُوَ الْأَمْرُ بِهِ؛ إذْ الْأَمْرُ هُوَ طَلَبٌ لِلْفِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ وَاسْتِدْعَاءٌ لَهُ وَدُعَاءٌ إلَيْهِ فَالدُّعَاءُ إلَى اللهِ الدُّعَاءُ إلَى سَبِيلِهِ فَهُوَ أَمْرٌ بِسَبِيلِهِ وَسَبِيلُهُ تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ. وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُمَا وَاجِبَانِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمُسْلِمِينَ وُجُوبَ فَرْضِ الْكِفَايَةِ لَا وُجُوبَ فَرْضِ الْأَعْيَانِ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بَلْ كَوُجُوبِ الْجِهَادِ.

وَالْقِيَامُ بِالْوَاجِبَاتِ: مِنْ الدَّعْوَةِ الْوَاجِبَةِ وَغَيْرِهَا يَحْتَاجُ إلَى شُرُوطٍ يُقَامُ بِهَا. اهـ

الوقفة الرابعة والثلاثون بعد المائة: في قول الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ ﴾ يوسف: ١٠٩ ، ما أرسلنا إليهم ملائكة راداً على طلبهم لنزول الملائكة: ﴿ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾[الفرقان:٢١-٢٢]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾[يوسف:١٠٩]، فالنبوة والرسالة لا تكون إلا في الرجال خلافًا لما ذهب إليه ابن حزم والقرطبي: من أن مريم ابنة عمران كانت نبيه، وإنما هي الصديقة، ومن شروط الرسول: أن يكون إنسيًا، حرًا، ذكر، عاقلًا، وقيل غير ذلك من الشروط، لكن بعضها ليس عليه دليل، ﴿ نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾[يوسف:١٠٩]، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾[الشورى:٥١]، وفي هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام في النبوات (٢/ ١٠٠٤):

فالرسل تكون من الإنس إلى الثقلين، والنذر من الجنّ باتفاق العلماء.

هل يكون من الجنّ رسلاً؟!

واختلفوا: هل يكون في الجن رسل؟ والأكثرون على أنّه لا رسل فيهم، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى}. وعن الحسن البصري قال: لم يبعث الله نبيًّا من أهل البادية، ولا من الجن، ولا من النساء. ذكره عنه طائفة . اهـ

الوقفة الخامسة والثلاثون بعد المائة: في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾[يوسف:١٠٩]، أي: هؤلاء الكفار المشركين والمنددين: ﴿ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾[يوسف:١٠٩]، ممن هو أشد منهم بطشًا وأكثر جمعًا، ومع ذلك دمر الله عليهم ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف:١٠٩]، أي: التفات وإخبار: أن الحياة السعيدة هي حياة المؤمنين الخُلص، فله الدار الآخرة كاملة موفاه لا نقص فيها.

الوقفة السادسة والثلاثون بعد المائة: في قوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ يوسف: ١١٠، قُرئت: (كُذِّبوا)، ولا إشكال فيها، فقد كذبهم قومهم، وأما: ﴿ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾[يوسف:١١٠]، أي: استيقنوا أنهم قد كُذِبوا قيل: المعنى قد كذبهم قومهم، وقيل: بأنه وقع في أنفسهم شيء تجاوز الله عنه ولم يؤاخذهم به كقوله عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة:٢١٤]، وكقول الله عز وجل: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾[الأحزاب:١٠]، أو المعنى أيضًا قيل: خشوا أن يكذبهم أتباعهم ويقولون: أنتم وعدتمونا بالنصر والتمكين وإلى الآن ما هو إلا الهزيمة فينا، فعند الشدة والضيقة يأتي النصر: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[يوسف:١١٠]، والله عز وجل خير الناصرين، ﴿ فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ﴾[يوسف:١١٠]، يُنجي الله عز وجل من شاء من الفتن والمحن، ﴿ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا ﴾[يوسف:١١٠]، عذابنا كما قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾[العنكبوت:٤٠]، فكلٌ يهلكه الله بما شاء، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[يوسف:١١٠]، الظالمين الكافرين.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ١٧٥):

قِرَاءَتَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ. وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقْرَأُ بِالتَّثْقِيلِ وَتُنْكِرُ التَّخْفِيفَ كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ

قَالَتْ لَهُ - وَهُوَ يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِهِ: {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} مُخَفَّفَةً قَالَتْ - مَعَاذَ اللهِ لَمْ تَكُنْ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا - قُلْت: فَمَا هَذَا النَّصْرُ - {حَتَّى إذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ} بِمَنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَظَنَّتْ الرُّسُلُ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللهِ عِنْدَ ذَلِكَ لَعَمْرِي لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ فَمَا هُوَ بِالظَّنِّ. وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْ ابْنِ جريج سَمِعْت ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {حَتَّى إذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} خَفِيفَةً ذَهَبَ بِهَا هُنَالِكَ وَتَلَا {حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ} فَلَقِيت عُرْوَةَ فَذَكَرْت ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: مَعَاذَ اللهِ وَاَللهِ مَا وَعَدَ اللهُ رَسُولَهُ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إلَّا عَلِمَ أَنَّهُ كَائِنٌ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ الْبَلَاءُ بِالرُّسُلِ حَتَّى ظَنُّوا وَخَافُوا أَنْ يَكُونَ مَنْ مَعَهُمْ يُكَذِّبُهُمْ؛ فَكَانَتْ تَقْرَؤُهَا: {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} مُثَقَّلَةً. فَعَائِشَةُ جَعَلَتْ اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْ الْكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ وَظَنَّهُمْ التَّكْذِيبَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ وَلَكِنَّ الْقِرَاءَةَ الْأُخْرَى ثَابِتَةٌ لَا يُمْكِنُ إنْكَارُهَا وَقَدْ تَأَوَّلَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَظَاهِرُ الْكَلَامِ مَعَهُ وَالْآيَةُ الَّتِي تَلِيهَا إنَّمَا فِيهَا اسْتِبْطَاءُ النَّصْرِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: {مَتَى نَصْرُ اللهِ} فَإِنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ تُبْطِئُ لِطَلَبِ التَّعْجِيلِ. وَقَوْلُهُ: {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} قَدْ يَكُونُ مِثْلَ قَوْلِهِ: {إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} وَالظَّنُّ لَا يُرَادُ بِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الِاعْتِقَادُ الرَّاجِحُ كَمَا هُوَ فِي اصْطِلَاحِ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي الْعِلْمِ وَيُسَمُّونَ الِاعْتِقَادَ الْمَرْجُوحَ وَهْمًا بَلْ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ} وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} . فَالِاعْتِقَادُ الْمَرْجُوحُ هُوَ ظَنٌّ وَهُوَ وَهْمٌ وَهَذَا الْبَابُ قَدْ يَكُونُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ الْمَعْفُوِّ عَنْهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إنَّ

اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ} وَقَدْ يَكُونُ مِنْ بَابِ الْوَسْوَسَةِ الَّتِي هِيَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ كَمَا ثَبَتَ {فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الصَّحَابَةَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: إنَّ أَحَدَنَا لَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ مَا لَأَنْ يُحْرَقَ حَتَّى يَصِيرَ حُمَمَةً أَوْ يَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ إلَى الْأَرْضِ: أَحَبُّ إلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: أَوَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ} وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: {إنَّ أَحَدَنَا لَيَجِدُ مَا يَتَعَاظَمُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إلَى الْوَسْوَسَةِ.} فَهَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي هِيَ تَعْرِضُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مِنْهَا مَا هُوَ ذَنْبٌ يَضْعُفُ بِهِ الْإِيمَانُ وَإِنْ كَانَ لَا يُزِيلُهُ. وَالْيَقِينُ فِي الْقَلْبِ لَهُ مَرَاتِبُ وَمِنْهُ مَا هُوَ عَفْوٌ يُعْفَى عَنْ صَاحِبِهِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ يَقْتَرِنُ بِهِ صَرِيحُ الْإِيمَانِ. اهـ

الوقفة السابعة والثلاثون بعد المائة: في قوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١، قصص الكافرين وقصص الأنبياء والمرسلين فيها عبرة لأولي الألباب، ﴿ مَا كَانَ ﴾[يوسف:١١١]، أي: هذا القرآن، ﴿ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾[يوسف:١١١]، أي: حديثًا مفترى، مكذوب، ﴿ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[يوسف:١١١]، من التوراة والإنجيل، ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[يوسف:١١١]، مما يحتاجه الإنسان في دينه ودنياه، ﴿ وَهُدًى ﴾[يوسف:١١١]، دلالة إلى الخير، ﴿ وَرَحْمَةً ﴾[يوسف:١١١]، سلامة من الشر والضير، ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف:١١١]، إنما يستفيد منه المؤمنون، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[يونس:١٠١]، وقال: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴾[الأعلى:٩-

١٢].

الوقفة الثامنة والثلاثون بعد المائة: أن القرآن حق من الله لأ، وأنه لا يخالف الحق الذي أوحاه الله لأ على من قبل محمد ج، وإنما ما وقع من ذلك فإما أن يكون نسخا في الأحكام، أو تحريفا من اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، ولذلك تجد اتفاق الكتب والرسل على التوحيد الذي هو حق الله على العبيد .

الوقفة التاسعة والثلاثون بعد المائة: ما في القرآن من البركة العظيمة والعظة الكريمة يستفيدها من أمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمدﷺ رسولا ونبيا، حيث أنزل الله لأ هذا القرآن للتعقل والتدبر والإيمان والانقياد، فتأمل كيف افتتح الله السورة بقوله: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢]، وختمها بقوله: {وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١]، تجد ما يحار المتكلم عن الإفصاح به وبيانه، والله الموفق .

الوقفة الأربعون بعد المائة والأخيرة: تعيين تعقل القرآن وتدبره، فستجد تحت كثير من ألفاظه العامة ما يستدل به على الحوادث الخاصة، ومن أراد ذلك فليرجع إلى كتب أحكام القرآن، تجد أن هذه السورة قد حوت أحكاما كثيرة في البيوع والرهن والضمان وغيرها .

هذا مُلخص لما تضمنته هذه السورة، والحمد لله رب العالمين، وكان الانتهاء من مراجعته عصر يوم السبت ٢١/ شعبان/ ١٤٤٢ هـ .